

أَدَبٌ "محمود تيمور" للحقيقة والتاريخ

تأليف

محمود بن الشريف

مطبعة الكيلاني الصغير

٢٨ شارع البستان — باب اللوق

ت ٣٣١٥٨ — القاهرة

« إن تيمور يعمل بهمة دائبة ، وجهود موفق ..
وما وصل إلينا من مؤلفاته ؛ يدل على أنه زعيم القصة
المعاصرة ، وأنه أصبح الكاتب المفضل ، والمعترف له
إجماعاً بالتفوق في أدب بلاده المعاصر . »

أغناطيوس كراتسوفسكي

المستشرق الروسي

« يسمو محمود تيمور ، بما يقدم من أمثلة إنسانية
ترى إلى أهداف رفيعة ، يسمو عن الكاتب الروائي
المجرد إلى مصاف الفلاسفة الأدباء ، ومعلمي الثقافات . »

عبد الكريم جبرمانوس

المستشرق المجري

« . . فإذا قيل إنك أديب مصري ، ففي ذلك
غضبٌ منك ، وإذا قيل إنك أديب عربي ففي ذلك تقصير
في ذاتك ، وإنك توفى حَقَّك إذا قيل إنك أديب عالمي ،
بأدق معاني الكلمة وأوسعها وأعمقها . »

طه حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

ملاحم وخطوط

لم يكن في طريقه شوك وصبار وحسك . .
ومع ذلك حطّ القولة المأثورة التي تقول : « إن من ولد
وفي فمه ملعقة من ذهب فنهاره ليل ، وليله نهار ، وحياته
بجانة وددن ، ولهو وجدة » .

وأثبت أن الجوهر النقي ، والمعدن الحر له وزنه ، وله
قيمته في كل مكان وجمال . وجعل من تلك القولة السالفة
أسطورة وحديث خرافة ، وجعل اسم أسرته واسم بلاده
يدوي في الأوساط الأدبية ، والمحافل الأجنبية ، بما استحدث ،
وبما ابتكر ، وبما طوع من ألفاظ ، وبما ترجم ،
وبما ترجم له ، وبما استحق من جوائز دولية ومحلية .

إنه محمود تيمور . .

رائد القصة الحديثة في أدبنا العربي . .
وعملق اللغة الذي لا تجد في أسلوبه سقطة لغوية ، أو لفظة
مريضة ، أو قولة يتطرق الشك إلى سلامتها وصحتها .
ولا غرو ؛ فشخصيته : موهبة أدبية ، صقلتها يد البحث
والدرس ، والخبرة والتجربة والمران والمراس .
وأقاصيصه : أمشاج من نظرات صائبة في الحياة والمجتمع ،
وشرائخ منتزعة من صميم الواقع ، وأقباس عما تمور به أفئدة
الأناسي ، وتموج به أحلام البشر .
وإنتاجه : معالم على طريق الأدباء والمتأدبين ، ومشاعل
تغير سبل الإنسافية للسالكين .
ونفسيته : غدير صاف تنساب أمواجه في وسوسة أخاذة
هادئة ؛ لم تعكرها موجات حقد ، أو حفيظة ، أو غرور ، أو تعال .
قالوا عنه : إنه ابن ذوات ، ، وأنا أقول : إنه ابن أصل ، .

محمد بن الشريف

وصفوني بأني « مليونير » . .
وأطلقوا عليّ لقب « الباشا الأديب » . .
وهذا ظلم في ظلم . .
فلا أنا مليونير ، ولا أنا باشا . .
ولنأنا أنا رجل في حالي « مستور » ، يخدم الفن . . والوطن .

محمود تيمور

وما نحن في إنتاجنا القصصي إلا عباد يتزلفون إلى سماء الفن
بألوان القرايين ، والمحظوظ منا من تتقبل قربانه السماء .
فارفع يديك معي نسأل ملائكة الفن أن تفتح لي باب
القبول لما قدمت من قربان .

محمود تيمور

صومعة ومحراب

عصارة أفكار . وخلاصة تجارب . . وتراث تالد وطريف
من علم وفن ومعرفة وأدب . قد أودع في كتب ومجلدات
ومخطوطات من القديم والحديث ، تلك هي مكتبة « أحمد تيمور » ،
أو بالأحرى « الخزانة التيمورية » ، التي كانت محراب علم ،
وصومعة أدب ؛ ترهب فيها أحمد تيمور ، ينفق فيها جل وقته
متفرغاً للاطلاع ، متبتلاً للقراءة ، يشوب فيها إلى عوالم ،
ويشوب إلى أجواء ؛ يحدد بها نفسه ، ويصقل بها روحه ،
ويغذى بها معارفه وعوارفه .

ووليد صغير ، هو أصغر إخوته ، ترنو عيناه - وهو
في طفولته البريئة ، وديناه المحدودة - فيرى ، ويمطلع . .
يرى كعبة عليية في منزل والده « أحمد تيمور » ، يقصدها فحول
الشعراء ، وحلة الأفلام ، وأرباب الكلام ، ومشاهير العلماء ،

وأئمة اللغة ؛ كاشيخ « الشنقيطى الكبير » ، والشيخ « طاهر الجزائرى » ،
كما تصدّرها من قبل : « جمال الدين الافغانى » ، و « محمد عبده » ،
و « محمود سالى البارودى » .

ويحبو الوليد « محمود » الذى استقبلته الحياة بدرب سعادة
فى الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٨٩٤ . . ثم يخطو وينمو
فى هذه الأجواء المنعممة بالقريض والقصيد ، المترعة بالأدب
والبحث والدرس والنقد .

وكما كان قديماً يُذهب بأبناء الملوك والولاة والخلفاء إلى البادية
- وهم فى حدّاتهم وطفولتهم - لتستقيم ألسنتهم ، ويأخذوا
اللغة من منبعها الاصل على الفطرة اللغوية ، والسليقة العربية ؛
حيث لا يشوب الالفاظ لحن أو تحريف ، وحيث تخلق العبارات
مستقيمة ، وتولد سليمة صحيحة - كذلك كان أديبنا « محمود تيمور » :
تفتحت عيناه على رؤية السكتب ، واستمعت أذناه إلى مناقشات
الأدب ، وانساب إلى مسمعه - وهو حدث صغير - ألوان
من بارع النثر ، ورائع القول ، وبلغ القصيد ، قد يشدو
بالبيت أو البيتين . . ويكتفى بالترديد ؛ فإدراكه المحدود
لا يقوى على فهم ما يردد . . قد يترنم بالحكمة ، ويضرب المثل
العربى الفصح الخالص وهو دون الخامسة . . ثم هو بعد هذا
وذاك لاهٍ مرح ، وكيف لا ؟ وهو لمّا يبلغ السادسة من سنه ،

وما أن بلغها حتى تعهدت عقلية يد صناع . . يد عمته الشاعرة
السيدة « عائشة النيمورية » ، فأقرأته الكثير من شعرها ،
وحفظ هو الكثير من هذا الكثير ؛ فقد كان يُعجب به ،
واستظهر مرئيتها لابنتها الوحيدة « توحيدة » ، والتي مطاعها :

إن سال من غرب العيون بحور

فالدهر باغ والزمان غـدور -

وبلغ السادسة من عمره . . وبدأ دراسته الابتدائية في مدرسة
ابتدائية ذات طابع خاص ، وشهرة معينة ، هي مدرسة الناصرية ؛
فأساتذتها ممتازون منتخبون ، وطلبتها أفراد قلائل من الموسرين
أو الأذكاء ، أو من يجمعون بين هاتين الصفتين كصغيرنا
« محمود » .

وغنيت حافظته ، وهو يقطع مرحلة التعليم الابتدائي ، بزاد دسم
من جزل القصيد . . . وبدأ يتذوق ما يحفظ ، ويسأل والده
ومعلميه عن معاني هاتيك الألفاظ الغلاظ ، والكلمات ذات الرنين
العربي ، والجرس الجاهلي التي تنص بها معلقة « امرئ القيس » .

* * *

ولابد للطفل من أن يلهو ويفرغ طاقته في مرح وعبث وحركة
دائمة دائبة ، فكان في أوقات الراحة والاستجمام العقلي ينطلق
مع أترابه ولداته من أبناء حي « الخزاوي » ، يصادق من يشاء ،

ويلهو مع من يريد . لم يُعتقل في قصر والده بدد درب سعادة ، .
 ولم يكن ملهه حديقه القصر أو فناءه الحُصْب ، بل منحه أبوه
 من الحرية ما مكنه من الاختلاط بأبناء ذلك الحى ذى الطابع
 الشرقى ، والتقاليد البلدية الموروثة . وعاش هذه الحياة الجديدة
 الثانية . . وعلم خباياها وخبر أسرارها ، واندمج في أجوائها ،
 وكان له من ذلك خبرة وتجربة - د فها راء كمن سمعا ، . .
 وترسَّب في أعماقه ، وانطبع في تفكيره ، تلك الألوان الشرقية
 الصرفة ، التى رآها رأى العين في ذلك الحى الشرقى ، المعطر
 بأبخرة المسك والأفاويه وأعواد الجاوى وحبيبات المستكة .
 فنضج ذلك - فيما بعد - على كتاباته وإنتاجه ، ولا عجب أن
 نقله في أفايصه بصدق وواقعية .

* * *

وتفتق ذهنه ، وتفتح تفكيره . . واستقبل دراسته الثانوية
 في المدرسة الإلهامية ، بعد أن نال الشهادة الابتدائية . .
 واجتمعت عليه في هذه الآونة مؤثرات تكون إنتاجه ،
 وتلون أسلوبه . .

يحكى « تيمور » واحداً من هذه المؤثرات فيقول :
 « ولما اشتد عودى ، وأحسنيت القراءة والكتابة ، ألفيت

أبي يهدى إلى مجلدأ ضخما من كتاب « ألف ليلة وليلة » ،
 في طبعة مهندبة محلاة بالتصوير ، فإلى أن أقبلت
 على الكتاب ، أسيع فيما حوى من حكايات شائقة ، وكنت
 أجمع من يرغب في الاستماع من عشيرة البيت ، فأعيد عليهم
 تلاوة ما قرأت . ولعل السر في إعجابي بـ « ألف ليلة وليلة » ،
 في تلك المرحلة من حياتي ، هو مشابقتها للعواديت ، وهي
 القصص الساذجة الخرافية التي استمعنا إليها من العجائز ، تسامرنا
 بها في عهد الطفولة الأولى ، فكأنما كنت بقراءة « ألف ليلة
 وليلة » ، أستعيد سذاجة ذلك العهد المحبب الأنيس ، وما منا
 إلا من يشعر بحنين إلى بواكير أيامه ، وهو حديث عهد بالحياة .
 ولم يكن كل ما يعجبنا في « ألف ليلة وليلة » ، مجرد شبيها
 بالقصص البطولية الساذجة ؛ فقد راقنا منها - مع ذلك - أنساع
 الخيال ، وخلاصة الأحداث ، وطرافة الصور ، والجو الشرقي
 الساحر ، الذي يمتد إلى نفوسنا بأوثق الأسباب ، ذلك الجو
 الحافل بالمغامرات التي تهفو - نفوسنا إلى مزاولتها ، فشارك
 الأبطال فيما يقومون به من أعمال ، وما يخوضون من أخطار ،
 ترتفع مع الرخ إلى السموات العلى ، ثم تهبط من « وادي الشعابين » ،
 إلى « مغارة الموتى » ، وإذا نحن ننفذ منها إلى « مدينة النحاس » ،
 نهيم في صمتها المدهوب ، ثم لا نلبث أن نشوب إلى الأهل
 والأحباب ، محملين بالذهب والفضة ، متحلين باللاآء والياواقيت .

ولا ريب في أن ألف ليلة وليلة، مما يذكي في نفس القارىء
موهبة التخيل، ويمده بعناصر الخلق القصصى، ولم يكن عبثاً
أن يقول «فولتير»، إنه قرأ ذلك الكتاب مرات قبل أى يجرى
قلبه بكتابة قصة، وأنه تمنى أن يفقد ذاكرته ليستطيع أن يقرأ
الكتاب من جديد بمثل اللذة التى قرأها بها أول مرة.

ولقد أثار كتاب «ألف ليلة وليلة»، ميل إلى قراءة أمثاله،
فأمدتني مكتبة أبى بما أطمح إليه، وأذكر أنه كان فيما قرأت
يوشد من كتب الأسرار ونوادير الإخباريين كتاب «إعلام
الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس»، وكتاب «نفحة
الين»، بما يزيل الهم والشجن، وغيرهما من النظائر والأشباه.

وامتدت عيني إلى غير ما تحويه خزانة أبى من روايات
عصرية مترجمة، فوجدتني أجنح إلى إيثار «القصص البوليسى»؛
أعنى قصص الحيلة والجريمة، وأذكر منها الآن روايات:
«نقولا كارتر»، و«شارلوك هولمز»، و«سنكلر»؛ ففقت
أيما فتنة بما يبدية الأبطال من ذكاء وسرعة خاطر، وحضور
بديهة، وقدرة بارعة على التخلص من المآزق، وكذلك أعجبت
بما تدبر القصص من مفاجآت مثيرة، تملك على القارىء انتباهه،
وتحملة على متابعة القراءة في شوق موصول.

تجربته الأولى

وكان لابد للقلم أن يهتز بين أصابع صغيرنا « محمود » ،
مترجماً عما يعتلج في وجدانه من مشاعر ، وعما يدور بخله
من أفكار ، وذلك أمر طبعى ؛ فلا بد للقارىء من أن يحاكي
وينسج على منوال ما قرأ ، ولا بد له من أن يكتب ، ولو غشاً
أو ثميناً ؛ فنتاجه في نظره - على أى حال - غال نفيس ،
مهما انتقده الناقدون ، ومهما عابوا عليه .

وفي حياة كل قارىء تجربة أولية للكتابة ، ومحاولة للتأليف ،
ترسبت ذكراها في أعماقه ، وسجلت في خاطره ، فكيف تهت
معالم أول جولة يترقب نتائجها الكاتب بقلب خافق ونفس مشفقة ؟
وليس أصدق من ذات الكاتب في تبيان أحاسيسه عن هذه
التجربة الأولى والمحاولة البكر . .

ويروى أدبنا « تيمور » ذكرياته عن محاولته الأولى فيقول :
 « وفي صيف من الأصيف ، وأنا مغمور بما قرأت ،
 وما وعيت ، من هذا اللون القصصي الغربي ، سافرنا إلى الضيعة
 في الريف ، والحياة هناك هادئة يتسع فيها وقت الفراغ ،
 والجو هناك مهياً للتأمل والانطلاق في آفاق الخيال ، فألقيتني
 أخلو إلى نفسي ، وأغلق الباب دوني ، وأجلس إلى أوراق
 وأقلامى ، أدبج قصة هندية الأحداث ، بطلها ضابط إنجليزي
 يحن على فتاة وطنية ؛ فينبهى أهلها يثأرون لها ، وينتقمون
 من أساء لـها . وجعلت للقصة عنواناً عظيماً ، هو :
 « الشرف الرفيع » ، وما فاني أن أرسح القصة بيت المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حق يراق على جوانبه الدم

ولما أتممت تحرير القصة هرعت بها إلى أبي ، ورجوت منه
 أن يبعث بها إلى إحدى الصحف ؛ لكي تنشرها باسمي ، وكانت
 سنى إذ ذاك لا تتجاوز الرابعة عشرة . فالتى أبي على القصة
 نظرة خاطفة ، ثم ابتسم لى ، وربت على كتفى ، وقال :
 « حسنأ كتبت ، وسأنظر فيما رغبت فيه من نشر القصة . »

وانقضت أيام ، وأنا أرتقب ظهور القصة العظيمة ، وطال
ارتقابي ، حتى ألهتني عنها الشواغل . . . وبعد حين صادفت
باكورق في الكتابة القصصية مسجاة في زاوية من مكتب أبي ،
تشكو الصد والإعراض ، فأدركني عليها إشفاق ، وهممت أن
أتناولها ، ولكن إكباري لأبي منعني أن أفعل ، فانتظرت
حتى لقيته وفاتحته في الأمر ، فطلب مني أن أعاود تجربة الكتابة
مرة أخرى ؛ لعل أبلغ من التوفيق ما لم يتح لي في التجربة
الاولى . .

وديعه علمية

كان صغيرنا « محمود » وديعه علمية في الأسرة التيمورية ،
تعهدته يد عمته الشاعرة بادي الأمر ، ثم أسلمته إلى أبيه ،
يذكر فيه الموهبة الأدبية بما يسهل له في صباه الباكر من ألوان
القراءة والتثقيف ، ثم خلص في النهاية إلى يد شقيقه الكبير
« محمد تيمور » ، الذي وجه هذه الموهبة الوجهة الانبغائية الواجبة ،
التي تتفق مع ما نادى به « محمد » آنئذ من آراء وأفكار ؛
فقد مكث في فرنسا ثلاث سنوات ، درس خلالها الأدب الأوربي
الحديث والفن المسرحي ، ثم رجع إلى مصر بفسكرة حديثة ،
ورأى مستحدث ، نادى به ، ودعا إليه . . نادى بإنشاء
أدب مصري له صبغة جديدة دسمة مبتكرة ، تبعد به عن
البرج والزخرف اللفظي ، وعن الاهتمام بالمعبارات وترصيعها
بأنواع المحسنات التي تثقل جيدها ، وتجنح بها إلى السخف

حيناً ، وإلى التكلف أحياناً . . نادى بأن يكون أدبنا واقعياً ،
ينقل عن بيئتنا المصرية الصميمية العريقة ، بما تحمل من طابع
محلى ، وعادات متوارثة ، ويكشف عن المنازع ويحلل النفسيات ،
ويعرب عن مشاكل مجتمعتنا ، ويرسم الصورة الآمنة للحياة
المكادح وابن البلد فى الشارع والمتنهدى والمصنع والمزرعة .

ولم يكتف د محمد ، بتريد الآراء والمنظريات ، بل سرعان
ما طبقها على شرائح قصصية ، أظهرت معالم حياتنا المحلية ، وأمها
ما يواجهنا من مشكلات .

ووجدت هذه الاتجاهات وتلك الآراء أذناً صاغية لدى
د محمود ، الذى قال عنها :

د ولبت أرقب عن كشب شقيقى يعرض محاولاته فى هذا
الباب ، فإذا تحرك قلبى للبيان والتعبير ألفتنى أثر ذلك اللون
الذى كان يسمى حينئذ بـ " الشعر المنشور " ، أبث كلماته
ما يضطرب به وجدانى من عواطف ومشاعر وخطرات .
ولم يكن ذلك الشعر المنشور يخلو من وشائج فى باب القصة
أدخل منها فى باب المقال . على أننى كنت فى هذا الاتجاه
متأثراً - لاشك - بما توهج فى أفقنا الأدبى لذلك العهد من
لوامع أدب المهجر بأقلام : د جبران ، و د الريحانى ، و د نعيمه ،
ومن إلهم من زفوا إلى الكتابة العربية أدباً عاطفياً إنسانياً

جديداً في روحه ، يمس من القارى شغاف قلبه ، ويثير فيه
كوامن عطف ورحمة وإشفاق . .

وفى ذلك الوقت كنت أستنير فى مطالعاتى بهدى شقيقى ،
فنصح لى فيما نصح بأن أطلع د حديث عيسى بن هشام ، ،
للأديب العربى الصميم د محمد المويلحى ، ، وقصة د زينب ، ،
للكاتب الاجتماعى المفكر د محمد حسين هيكل ، . فلبحت فيهما
مسحة تختلف عن الأدب د الرومانى ، الذى كنت غارقاً فيه . .
مسحة تهبط بالقارى من سماء الخيال المجنح ، حيث يعيش
الناس كالملائكة فوق الضباب ، إلى الأرض التى ندب فيها ،
فنزى الناس من حولنا بشراً مثلنا على فطرتهم التى خلقوا
عليها ، .

دراسة.. ومرض

وغدا الفتي ومحمود، شاباً يقف على عتبة الرجولة ، يحمل في يمينه شهادة «البكالوريا» ، يطرق بها أبواب التعليم العالي .
وفتحت له مدرسة الزراعة العليا أبوابها ، واستقبلته طالباً بها ،
ومكث فيها سنتين ، يدرس الأوراق والأزهار والنبات والخلايا والحيوان . . وأقبل على دراسته بنفس مُطلعة ، ورغبة عارمة . .
ولاجرم ، فقد اعتزم التخصص في فلاحه الأرض وزراعتها . .
أراد أن يخطط بفأسه على صفحة الأرض للنبات خطوطاً يرقب من خلالها كيفية نموه واستطالته وازدهاره ، ومعرفة ما يذبله وما يذويه وما يقويه . ولكن أراد القدر له ومحمود ،
أن يخطط ببرايمته على صفحة القرطاس خطوطاً يسبر بها أغوار النفس البشرية ، ويكشف عن مسانير الإنسانية ، وما ران على بعض القلوب من شوائب ، أو ما فاضت به من روحانية

وإشراق . . أراد له القدر هذه الوجهة الأخيرة ؛ إذ سرعان ما دهمه مرض حرم عليه الطعام والحركة ، وألزمه الفراش ثلاثة أشهر متتاليات ، ولم يكن للتيفود ، الذى دهمه من علاج وقتئذ غير هذا . .

وغير التيفود مجرى حياته ، وعن ذلك يقول « تيمور » :
« وكانت وطأة المرض شديدة على » ، فلزمت الفراش ثلاثة أشهر قضيتها فى ألوان شتى من التفكير وأخلاط من الأحلام ، واستطعت أن أهضم الكثير من الآراء التى تلقيتها من أخى ، أو استمددتها مما قرأته من الكتب . فلما أبليت من مرضى ، وأردت استئناف دراستى العالية - وقد كنت بدأتها فعلاً - حال دون ذلك ضعف بنيتى ؛ فعشت فترة من الزمن محتفظاً ، وأطلقت لنفسى عنان الحرية - شيئاً ما - نخرجت عن الكثير مما كان يقيدنى من تحفظات الأسرة ، وشعرت باشتداد ميلى إلى الأدب ، فرسمت له دراسة شبه منظمة ، وخصصت له وقتاً معيناً من وقتى ، فكأنى قد أردت بهذه الخطوة استكمال النقص الذى لحقنى من انقطاع دراستى العليا .

فما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد فى حياتى الأدبية ، نقلنى من دور التردد إلى دور التيقن ، ومن دور الإلمام والحرادة فى التحصيل إلى دور الجهد فيه والاستيعاب .

وتغير مجرى حياتي تماماً ، فبعد أن كنت اعتمد التخصص
في الشئون الزراعية اتجهت إلى دراسة الأدب في المنزل .

ثم يقول : « ولم تقف مطالعاتي عند الأدب العربي ، قديمه
وحديثه ، ما ألف فيه ، وما ترجم إليه ؛ فقد كانت معرفتي
بالإنجليزية والفرنسية قد نمت نمواً يمكنني من أن أقرأ الأدب
العربي في هاتين اللغتين ، وأرشدني شقيقى إلى قراءة ما كتب
« موباسان » الفرنسي ، و « تشيخوف » الروسي ، في مجموعتهما
القصصية ، فقرأت لهما ، أو قل ، عيبت من أقاصيصهما عبثاً ؛
فأما « موباسان » فقد راقتنى منه قدرة على تصوير قطاعات
كثيرة من الحياة مختلفة الألوان ، فيها بساطة ، وفيها صدق ،
وفيها امتلاك لناحية الصياغة القصصية ، وفيها مهارة جمع
الأطراف التي يبنى عليها العمل القصصى من أحداث وشخصيات .
وأما « تشيخوف » فقد راعى منه أنه يصور مآسى الحياة
في ألواح فنية ناطقة ، لعلها لا تستكمل صياغتها القصصية بالمعنى
الشائع للقصّة المحبوكّة الأطراف . ولسكنها بضعة من الحياة ،
فيها مرارة ، وفيها خفوق . ومع ما يبدو من بساطة الظاهر
في هذه الألواح فإنها تنطوى على معان عميقة ، وتحليل للنفس
البشرية عجيب . »

وبعد فترة النقاهة من المرض ، التحق بإحدى وظائف

وزارة الحقانية (العدل) ، ومكث في هذه الوظيفة سنة كاملة ،
ثم انتقل منها إلى وزارة الخارجية ، ومكث بها ستة أشهر ،
والوظيفة تقتل الموهبة ، وتقبر الكفاءة ؛ الوظيفة بدرونيها ،
المعهود ، ومواعيدها ، وأضاييرها ، وغرور خدام الميرى آنئذ ،
ونفسياتهم ، وتعقيداتهم ، وثرثرتهم حول السكادر والعلاوة
والترقية والنقل والمعاش والخصومات ، تلك الحلقة المفرغة التي
تسلم بدايتها إلى نهايتها . . فلم يكن بدعاً أن يتحمل أديبنا
على كرسى الوظيفة ، وأن يضيق بها ويخلص للأدب ، مع
ما كان للوظيفة يومئذ من مكانة في أعين سواد الناس ، العامة
والخاصة منهم على السواء .

وما له للوظائف ؟ وقد أفاء الله عليه وعلى أسرته الكثير
من الخير والنعمة والجاه والمكانة ، فلماذا لا ينطلق إلى عالم
الأدب يهيم في رياضه ، يلثم زهره ، وينعم بشذا عطره ، ويجني
من أزهاره باقات يخلدها ويخلده ؟

دعوة وحواريون

والشباب هم الذين يتحملون أمانة الدعوة إلى كل جديد ،
فلا غرو أن استجاب لدعوة محمد نيمور ، إلى تمصير الأدب
ناطقة الكتّاب ، وأشباع وأتباع من شباب الطليعة في الأدب
العربي وقتئذ ، وعلى رأسهم أديبنا محمد نيمور ، و دكي
طلحات ، و إبراهيم المصري ، و خيرى سعيد ، و محمد عزّى ،
و حسين فوزى ، و طاهر لاشين ، .. وغيرهم .

وساعد هذه الدعوة على الظهور والحياة والتجسيد أن كانت
في عهد ثورة .. ثورة سنة ١٩١٩ ، التي كانت ثورة على المستعمر
المستغل المستذل .. ثورة على الأوضاع التقليدية العتيقة ، التي
لا تتلاءم مع روح التطور ، ولا تتواءم مع منهج التحرر .
وبدأت هذه النزعة الأدبية الجديدة تؤتي ثمارها في الشعر
والقصص والمسرحيات ، وما لبثنا أن رأينا ملاحمها تبدو

في هذا اللون الجديد من القصص الذي استمد حياته وأحداثه من بيئتنا المصرية . وقدّم د محمد نيمور ، مجموعة قصص مصرية أسماها « ما تراه العيون » ، ثم أتبعها بتمثيليتي : « العصفور في القفص » و « عبد الستار افندي » . ثم ما لبث أن خلا مكانه في ميدان القصة والمسرح ، بعد أن قضى فجأة في سنة ١٩٢١ ، وهو في ميعة حياته الفنية .

عاطفة.. وقلب

الحب عاطفة تسكن الأفئدة ، وتعمر القلوب حتى ولو كانت
قلوب أطفال تحبو وتلمو . فمن يحكم بأن القلب - أى قلب -
لم يخفق بالحب ، ولم يعمر بهذه العاطفة ، فقد افترى !!
ومن سجل على أديبنا د محمود نيمور ، بأنه لم يعرف من
البنات إلا بنات أفكاره فقد خالف الطبيعة وأوغل في المخالفة . .
لأنه كمثل شاب . . يحس ويحب ، فما بالك إذا زاد على أتراه
بأنه رفيق العاطفة ، جياش الأحاسيس ، ملتهب المشاعر ؟
وللشباب فورات ونزوات ، كثيراً ما هتكت في الخفاء
أستار الحجاب الذى كان مفروضاً على دنيا المرأة يومئذ ،
وكثيراً ما حطمت قيود التقاليد التى كانت ضاربة بجمراتها
في تلك الأيام الخوالى . .
وقد أحب د محمود ، . . أحب زوجته قبل أن يراها . .

أحبها في الخيال طيلة مدة الخطبة ، التي استمرت قرابة سنتين ،
لم ير خلالها غير صورة خطيبته ، ولم يعرف من أخبارها
إلا ما ينقله إليه « حريم » العائلة أو ألسنة الخدم أحياناً . .

وفي ليلة الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩١٩ عقد
قروانه بعد أن قدّم والده مهراً خمسمائة جنيه ذهباً في كليس من
الحريز الأخضر ، إلى والد العروس سعيد ذو الفقار (باشا) ،
كبير أمناء القصر الملكي في ذاك الوقت .

يقول « تيمور » : « في مستهل سنة ١٩٢٠ تزوجت . . لم أر
زوجتي قبل الزواج ، ولكنني أصبرت على أن أرى صورتها ،
ولما رأيت صورتها أعجبتني جداً ، وصرت أتساءل عن شخصية
صاحبة الصورة الجميلة ، وطريقة حديثها ، ورسمت لها في خيالي
صورة رائعة ، ولكنني لم أسرف في التفاضل كثيراً ، وفي يوم
كتب الكتاب ، رأيتها وتحدثت إليها لأول مرة ، فوجدتها
أجمل وأرق من الصورة التي رسمتها في خيالي بكثير ، وأخذنا نلتقي
كثيراً بعد كتب الكتاب وقبل الدخلة . وكانت هذه الفترة هي فترة
اختمار الحب الذي عشته بكل عواطف وكياني طول عمري . وزوجتي
هي كريمة « سعيد ذو الفقار » (باشا) كبير أمناء القصر الملكي سابقاً .
وتزوجتها وأحسست أنها حبي الأول والأخير ، وكانت كذلك .
كان حبها هو الأول والأخير ، وكانت هي زوجتي . . هي الأولى
والأخيرة . . وبعدها ختمت قلبي بالشمع الأحمر ، ولم أحب سواها ،
وانجبت لي زوجتي ثلاثة أطفال . . بنتين وولداً . . .

تَحْوِيلٌ

وظل أديبنا د. محمود ، يكتب نثراً رقيقاً رشيقاً ، أقرب ما يكون إلى الشعر ، وأخذ يدبج مقالات أدبية كلها من الشعر المنشور ذى النزعة الرومانسية ، ولا غرو ؛ فقد تفتحت طاقته الأدبية أول ما تفتحت على أشعار عتمه وقصائد ديوانها . وهو يقول عن الشعر :

« وكان نصيب الشعر وافرأ في مطالعاتي هذه - الشعر بنوعيه : العربى والأفرنجى - وخاصة شعر المعاصرين ، وكنت أفضل منه غالباً ما كان خيالياً مغرقاً فى الخيال ، .

واستبق « تيمور » من روافد « فيكتور هوجو » زعيم الرومانسية فى فرنسا ، و « جان بول ريسستر » و « الفريد دى موسيه » .
وغدا لإنتاجه الأدبى جلّه أسير هذا التأثير ، مصبوغاً بالخيال المطلق من الحدود والقيود .

نشر في مجلة السفور (في نوفمبر سنة ١٩١٩) قطعة أدبية
أسماءها : الزهرة العاشقة ، :

وعلى شاطئ الغدير
ذى الموجات الهادئة
تنمو زهرة
من زهور الطبيعة يانعة
تمتلكه الساق
مخضرة الأغصان
محجرة الأوراق
نشأت تتغنى بالحب
والحب يملأ ربوع الطبيعة بهجة ورواء
وعلى صفحة الغدير اللامعة
نرى خياله النضر
ومن الأغصان المهذلة
تسمع أناشيده الشجية
وفي الليل الحالك المنخفض العينين
يسبغ حولها همس القلوب
ويبلغ أمامها دمع العيون
وفي النهار المشرق الألاء

ترى وميض القبلات
يسطع كضوء الشمس
وتشعر بالأنفاس العطرية
تهبُّ على وجهها المواق . . كما أنفاس الربيع .

يقول « نيمور » : . . . وكانت المدرسة الأمريكية ، التي
أنشأها إخواننا اللبنانيون والسوريون في المهجر ، قد بسطت
نفوذها على الأدب المصري ، فأخذتُ بها ، وشغفت كبير
الشغف بزعيمها « جبران » ، ذلك الشاعر الرمزي المفرق في الرمزية .
وكانت « الإجنحة المتكسرة » ، أول كتاب حظي مني بأوفى
حب وتقدير ، فتأثرتُ به أولى كتاباتي - وجلها من الشعر
المنثور ذي النزعة الرومانسية .

وكان لـ « جبران » ، وجماعته مجلة تدعى « الفنون » ، قرأنا
فيها حقًّا لوناً جديداً من الأدب . . . الأدب الذي يحاول أن
يخرج من نطاق التقليد في الفسكرة والقالب . . هذا الأدب
كان يستمد وحيه من الغرب ، وقد استحدث له أسلوباً جديداً
خرج فيه عن بعض قواعد اللغة ونهج المنهج الأفرنجى ،
فاستعذبناه لطرافته وشذوذه عن المألوف . ولا جدال في أن
ذلك الأدب على علاقاته كان يحوى عنصر التجديد ؛ فلا يمكننا
إنكار فضله ، فهو دم جديد جرى في عروق أدبنا المحافظ ،

فدبت فيه حياة جديدة . وكان للقصة نصيب لا يستهان به
في هذا الأدب « المتأمرک » . والقصة - حتى ذلك العهد - بضاعة
تسكاد تكون غريبة عنا . . فتأثير هذه المدرسة من تلك الناحية
من أدبنا ظاهر ملموس .

* * *

وظلت طبيعته الرومانسية الشعرية تغلب على إنتاجه . .
وظل يقرأ قراءات مختلفة متنوعة ، وكان يهضم ما يقرأ . .
فلا عجب أن تأثر لإنتاجه بعد ذلك بما قرأ . . ولا عجب أن
بدأ يتحول من أدب المقال إلى أدب آخر قال عنه :

« ويدو لي أن تأثرى بما قرأت من أدب اللغتين : الفرنسية
والإنجليزية قد أغضب على شيطان الشعر المنشور ، فإذا هو
يتخلى عني . . شكر الله له ما صنع . . إن كان الإنسان أن
يطلب الشكر للشيطان . .

وجرى قلبي بقصة قصيرة ، هي : « الشيخ جمعة » ، وعلى أثرها
كتبت قصة أخرى هي : « يحفظ بشباك البريد » . والحق إن
قصة « الشيخ جمعة » نصيبها من التصوير الوصفى أكبر من
التأليف القصصى ، فضلا عن أن الواقعية فيها تسكاد تكون
هي العمل كله . والقصة الفنية إنما تكون مزاجاً من واقع
الخيال .

على أن « الشيخ جمعة » ، لقي من القبول والاستحسان ما لم أتوقع ؛ إذ مسَّ الموضوع ناحية إنسانية في تصوير ذلك الشيخ الفطري في نقاء سريره ، وفي فلسفته الساذجة . . التي تستعمل على مشكلات الحياة . . وكثيراً ما تتعمد المشكلات في وجه الإنسان ، فتدفو نفسه إلى مثل تلك الفلسفة البدائية المريحة ، التي هي كالمرفأ تجمخ إليه السفينة حين يكتنفها إعصار ، أو يهبط بها تيار .

ولكن القصة التي اعتبرها مكتملة المزاج الواقعي والخيالي ، أعنى مكتملة لعنصرى القصص الفني - هي قصة « يحفظ بشباك البريد » ، وموجزها سخرية خفيفة بأدعياء المغامرات الغرامية ، وبخاصة في فورة الشباب . وهذه القصة أتيسح لها أن تترجم بعد ذلك بسنين إلى الإنجليزية في كتاب يضم نخبة من القصص في مختلف البلاد ، ولعلها كانت طليعة ما تترجم من الأدب المصرى إلى لغة أجنبية . وربما كان السر في اختيارها لتمثيل أدبنا المصرى القصصى وقتئذ ، أنها كانت موفورة الحظ من اللون المحلى الذى يجذب أنظار القارىء الأجنبي .

على أن هناك عاملاً آخر جعله يتجه هذا الاتجاه القصصى الواقعي ، وما هو ذا يقول عنه :

« . . . كتب أخى « محمد » ، أقاصيصه : « ما تراه العيون » ،

وقد نما فيها نحو المذهب الواقعى ، وصوّر فيها مناظر مختلفة
من بيئاتنا المصرية وأشخاصها ، صاغها أقاصيص جمعت بين فن
مبتكر وأسلوب رشيق سهل . فأعجبت بها إعجاباً دعانى إلى أن
أؤلف على غرارها ، فكتبت باكورتى فى القصة : « الشمخ جمعة » ،
ثم أردفتها بأقصوصة : « يحفظ بشباك البريد » . وكنت قد
أهملت الشعر المنشور فاندفعت أكتب مترسماً فى كتابتى المذهب
الواقعى ، وذلك بتأثير الجو الجديد الذى نعيش فيه ، وما كنت
أقرؤه من قصص على هذا المذهب ، وكنت لا أحفل بالأسلوب
احتفالى بتصوير الواقع » .

ضربة القدر

جراح تندمل ..

وكما يلقي الصغير بحجر في النهر الهادي الساكن ذى المساه
المنسابة في رقة ووداعة فتضطرب أمواجه ، وتربث صفحة وجهه ،
وتتوالى نبضاته في فزع واهتزاز ، كذلك اهتزت نفسية محمود ،
وتزلزل كيانه ، وماج وجدانه ، عندما فجعه القدر في شقيقه
« محمد » ، الذي قضى فجأة ، وهوى بغتة ، وهو في عنفوان
شبابه المتألق ، ومجده الفني المرجو . وفي حديث يقطر أسى
ومرارة يؤرخ أديبنا هذه الفترة الحزينة من حياته فيقول :

وَجُعِنِي الْقَدْرُ فِي شَقِيقِي « مُحَمَّدٌ تَيْمُور » سَنَةَ ١٩٢١ ، وَهُوَ
مِنْ شَبَابِهِ فِي عَنَفْوَانٍ ، وَحَوْلَهُ هَالَةٌ مِنَ الْأَمَانِيِّ تَتَأَلَّقُ وَلَا تَعْرِفُ
مَصِيرَهَا مِنْ بَعْدِهِ ، أَتَحْبُو بِمَوْتِهِ ، أَمْ تَتَاحَ لَهَا حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ ؟
حَقًّا ، لَقَدْ شَعَرْتُ عَلَى أَثَرِ ارْتِحَالِ شَقِيقِي إِلَى دَارِ الْخُلُودِ

بانهيار ما كان يطمح إليه من نماء النبتة الجديدة . . نبتة القصة
في أدبنا القومى الحديث . . تلك النبتة التى رواها بدمه ،
وارتقب لها أن تزدهر كل الازدهار 11

ورأيتنى أضعف من أن أخلف شقيقى الراحل على ما كان يدر
به ، ويسمى إليه . . فأخذت إلى سكينه اليأس - بعض حين -
ولكن عجلة الحياة جعلت تدفع بى فى طريقها المحدود ، لا يغنيها
من الأمر إلا أن تستكمل دوراتها ولا تسالى من انقطعت به
الطريق . . فأخذت جراح الفجعة تندمل ويبدأ ، وإن كانت
الذكرى باقية بقاء الروح فى الجسد الحى .

ورجدتنى أنشط لبعض العمل ، فلبلت ما تشمت من قواى ،
وخطوت على الدرب فى تودة وحذر . . أنفض عن كتفى غبار
اليأس ، وأقضى شبح الإخفاق ، معوّلاً على نفسى ، مهتدياً
بهدى شقيقى الراحل . فكنت أكتب أقاصيص ، مندفعاً ببعث
من واهيقى الباطنة إلى استكمال ما كانت نفس شقيقى تصبو إلى
تحقيقه لو مد الله فى عمره ، وكنت أحس أنى بهذا النشاط
أكرم روح شقيقى وأقرنها واجب التحية والإجلال .

وما أن أقبل عام ١٩٢٥ حتى كان قد تجمّع عندى ما يصح
إخراجه فى مجموعة قصصية ، فسارعت إلى طبع كتابى الأول
« الشيخ جمعه ، وقصص أخرى » ، وأتبعته كتابى الثانى « عم متولى » ،

ونفسى راضية عما أصنع ، وضميرى مستريح إلى أنى أحاول
أن أستبق من شقيقى الراحل جوهر حياته ؛ أعنى ما كان يهدف
إليه ويهتف به من إرساء دعائم الفن القصصى العصرى فى الأدب
العربى . .

وقد بدأت حياة أديبنا الأدبية منذ تلك الآونة تتجه ذلك الاتجاه
الجديد نحو القصص الواقعى المنتزع من صميم الحياة ، البعيد عن
الزعة العاطفية والمنهى الخيالى . . إلى أن سافر . . وساح . .
وجال . . وتنقل . . وارتحل .

عوالم وحيوات

وبدا « تيمور » أولى رحلاته إلى الخارج عام ١٩٢٥ . .
ومعه جهاز لاقط حساس : هو ذوقه الرهيف ، وإحساسه
الذواق ، وعين الأديب الطلعة اللقاح ، ونظره الشاقب النفاذ .
وفي يمينه ريشة « الفنان » المبدع ، يصور بها خلجات حية ،
ولوحات نابضة لما يراه ، ولما يفعل به ، ولما يسترعى انتباه
الأديب في هذه المغامرات والمجالي . .

جاس خلال الديار في أوربا . . وآسيا . . وفي أمريكا . .
وفي المشرق العربي ، فشاهد عوالم وحيوات وبيئات وأجواء . .
لها تقاليدها ، ولها دنياها التي تعيشها . وظل يلتقط ويسجل ،
ويقارن ويفاضل . . وأودع مشاهداته بعض كتيبه ، وتضمنت
كتيبه عن هذه الرحلات زاداً دسماً ، وثقافة غنية بمعلومات
جديدة ، مترعة بالسوانح والخاطرات ، فياضة بالاحاسيس المشبوبة .

إن تيمور ، ينقلك فيها على جناح الوصف الدقيق الشامل
إلى هذه العوالم . . فتسيح معه في جولانه ، وتسبح وإياه
في خطراته وتأملاته ، وتشاركه حبه وحنينه وهو في الغربة
إلى الوطن . . ذلك الحنين الذي يبجله في كتابه «شمس وليل» ،
وهو في طريقه إلى السويد :

« . . هاأنذا أحس من فوري شعور وحشة وانقباض ؛ لقد
أيقنت الآن أني قد فصلت عن الوطن . . بعدت بنا الشقة ،
واستبانة بيننا الفارقة ، فهو مني قصي . . أتودد إلى معالمة
بالذكريات والصور . .

وطني . . ١

فيم هذا الأسى على فراقك ؛ كأنك إنسان حي ، يجري
في عروقك من الدم ما يجري في عروقي ؛ فبينى وبينك حرمة
النسب ولحمة القربى ؟ .

فيم هذا الحنين إلى لزامك ، كلما جده في الرحيل عنك ؟ .
ما خطب هذه الدمعة يندى بها جفني حين تخفى عني مشارفك ؟ .
لكأنني بك تشدني نياط قلبي إليك بأمراس . . فكلما نأيت
عن أَرْضك التوى على القلب ينفطر من وجد وتحنان . .
ما أنت أيها الوطن ؟ . .

وماذا فيك من سر يهيج كوامن الشجن ؟ . .

وهل أنت أولاً وأخيراً إلا أرض وماء ؟ .
وهل الدنيا على رحبها ، واختلاف بقاعها ، إلا مثلك :
بر وبحر ؟ . . .

حقاً أنت قبضة من تراب ، وغرفة من ماء ، ولكنها
يمتثلط بها عبير النفس ، وغرفة يمتزج بها دماء الروح . . فيهما
تستكن البذرة الصميمة للعالم الشخصية المتميزة . وعليهما يتجلى
الطابع الأصيل لما نحن عليه من ملامح وسمات . . .

ما أنت أيها الوطن إلا أنا في أجل المعاني وأرحبها ، وما أنا
إلا أنت أيها الوطن في أدق تلك المعاني وأضيقها . .

لست أنا إلا بضعة منك ، انفصلت عنك ، ولكنها تدور
في فلكك بمجاذيبك ، وستظل في مدارها حتى يحين الحين ،
فتفتني فيك . .

منك انبثقتُ ، وإليك أعود . . لا مفاصلة بيننا ولا انفصام . .

و « تيمور » يجسّد لك أحاسيسه وخواطره أمام ناظريك ،
ويشدك إليها بتعبيره المصقول ، وألفاظه المعسرة ، وموسيقاه
المنفسية التي تعجب وتطرب وتسمح وتبهز . وما هي ذى بعض
خطراته في ساعة ساجية بعد أن دخل جوف الطائرة بهنيتها
والتقمنا جوف الطائرة ، وأطفئت المصابيح ، وتألقت أمام
الآعين هذه الكلمات :

التدخين محظور ١ . . . ليشد كل منكم نطاقه ١١ .

وجعلت أجندة الطائرة تدف ، فينبعث لدفيها دوى .

وأرخيت جفنى . ها أنذا ألقى أحمال المتاعب عن كاهلى ،
وأتحلى عن الشواغل والتصاريف التى تحوطنى ، تاركا إياها خلفى ،
ملتسماً صفو الراحة والجلم ، بادئاً - بحق - عطلة الصيف ،
وأجازة العام ١ . . .

ما أطيب الدعة بعد التعب ! ما أجمل أن يستقبل المرء فترة
لا يشوبها جد العمل ، وكبد الفكر ، ومجادة الأعصاب .
ما أسعد المرء بأن يتخفف عما يثوده من الغايات الرامحات
فى عيشته الراضية أو غير الراضية ، وفى نظامها الراتب الدائب ،
فينطلق من إساره وقتاً إلى الدنيا العريضة ، وقد فهم ما بينه
وبين جذور عتيقة متغلخلة . . جذور نشده إلى بيئته التى يحيا
فيها ، وجوّه الذى يتنفس فيه ١ . . .

إنه ليخفّ إلى عوالم أخرى غير طامه ؛ ليجتلى مشاهد جديدة
لم يرها من قبل ، ويتملى وجوهاً غير التى ألف أن يطالعها
صباح مساء ، ويصغى إلى نغمة طريفة تذهب عنه الضجر بنغمته
المطولة التى لم تعد تثير فيه انتباهاً ولا هزة .

إنه لينسرح فى بتماع تشهده الشمس فى حلة قشدية ، وتويه

الليل في إهاب ليس له به عهد ، وتنشقه من نفحات النسيم
ما يهدي إلى صدره الاطمئنان والانشراح . . .

لكأنه بذلك يدنو من حوض مرمرى عظيم ، فينغمس
في ماء من ذوب اللجين ، يميّط عن النفس صداة الموموم
ويجملو عن العين غشاة التبلد والركود .

حقاً ما أطيب هذا كله . . . ما أجمله . . . ما أسعد المرء به . . .

إني لأفكر فيه وأتمثله ، وأنا أقيد هذه الخطرات ، في تلك
الساعة الساجية ، والرفاق من حولي نيام أو متناومون ، والظلمة
الرفيقة تبسط علينا شملة هههافة تلتبس بها حقيقة الزمن ، فلا تدرى
في أية ساعة نحن على وجه اليقين ! أهذه مخايل الفجر تسبق
ابتلاج النور الوهاج ؟ أم هي قتمة الغروب يلوح وراءها الليل
المقمر البهيج ؟

تلك ساعة يقف فيها النور والظلمة على الحياض ، أو هما يقفان
وجهاً لوجه متأهبين للعراك ، مرتقبين اللحظة المواتية . .

فلأدهما يتأهبان ويرتقبان ، ولاستمتع بهذا الصفاء الذي
تسبغه على نفسي تلك الهدنة بين ضجة النور إذا سطع ، ووحشة
الظلام إذا أطبق . . .

شاهد من المشاهد ما شاهد ، ورأى رؤى ، لم يرها رؤية

السائح العابر ، وإنما رآها رؤية الدارس الخبير ، رؤية الباحث
الشاعر ، الذى يستلهم ما يراه وحيأ ومعرفة وإنتاجاً .

كم من الزوار شاهدوا ما شاهد بعين لاهية ، أو عين عابثة
أو سطحية ، لا تسبر الغور ، ولا تتوغل فى الأعماق ١١ .

لم تكن رحلته لأوربا بيضة الديك ، ولم تكن زورة أولى
وأخيرة ، فقد آلى على نفسه أن يقسم وقته بين الكتابة
والكتب ، وعلى رأس القائمة كتاب الكون ، يقرأ فيه ، بتدبر
وإمعان ، ما سطرته يد الخالق المبدع ، وأعانه على ذلك بسطة
فى العلم ، ووفرة فى المال ، وفسحة من الوقت .

اتصل بالمشقفين ، ولقى الكتاب المشهورين ، وشاهد
المسرحيات العالمية ، والصور واللوحات الخالدة ، والمتاحف ،
والعماير والأبنية والقصور ودور الخيالة ؛ فأمدته تلك المشاهدات
بذخائر حديثة ، ثم أخذت بيده فى نهاية المطاف شطر أدب
إنسانى عالمى . . وعن ذلك يقول :

د سافرت فى تلك الفترة - سنة ١٩٢٥ وما بعدها - إلى أوربا ،
ومكثت بها حيناً يزيد على العامين ، قضيت معظمه فى سويسرا ،
فتفرغت للقراءة ، واتصلت بالأدب الأوروبى الحديث أقرب
اتصال ، وطالعتنى أثناء إقامتى هناك مرثيات ومناظر هزت
نفسى ، وتغلغلّت فى صميم قلبى . . كما أن خبرتى بالحياة ومعرفتى لها

اتسعت وتنوعت . . فكان لهذه الحياة الجديدة التي عشتها هناك
أثر لا يفكر في تطور فكري ، ورأيت على ضوء مطالعاتي
الجديدة ، وفهمي لنظريات الأدب العالمي أن اللون المحلي ليس
كل شيء ، بل هو بعض الشيء ، وما الأدب الكبير إلا أن
يولى الإنسان وجهه شطر النفس البشرية . . خواتم اتجاهي
نحو هذه الوجهة . . محاولا التقدم فيها ما استطعت إلى ذلك
سبيلا .

زهرة تذوى

وكانت ضربة ثانية من ضربات القدر .. حينما شاهد فلذة كبده « سعيد » ، تلك الزهرة النضرة ، تعصف بها ريح عاتية ، فتودى بها وهي أنضرها لتكون تالفاً وحيوية وتضوعاً وأريجاً .. ترنح أديبنا تحت هول تلك الضربة العاتية .. ثم تمالك وتجلد وصبر ، وإن كانت قد تركت تتواء سوداء في حياته الوضاعة المشرفة ، وجددت جراحاً كان قد مسح عليها يد الثبات والهزاء والصبر والمجاهدة .

عن هذه الفجيرة وأثرها يقول :

« أما ابني . . فقد كنت أكنّ له كل الحب والتقدير ، وكان في العشرين من عمره . . عندما أصيب بأزمة مفاجئة في « المصران الأعور » ، ولم يكن هناك من وسيلة للعلاج إذ ذاك ، فأت بين يديّ في لحظات . . ولم أصدّق ، ولم تصدّق والدته

أن نحرم من ابننا في لحظة ، وكانت تلك هى الحادثة الثانية
التي صبغت حياتى بلون قائم . . ولا تزال ذكره في قلبي وعيني ،
ولا أزال أذكره كلما رأيت شاباً مستقيماً طيباً على قدر كبير
من العلم والأدب والطاعة مثل ابني « سعيد » ، وأحمد الله
على كل حال . .

وأعاد موت ابني وحزنى عليه كل الأمراض القديمة إلى
جسدى ، وشاركتنى زوجتى الأمراض ، وسافرنا إلى الخارج ،
ومكثنا في سويسرا عدة سنوات . . ابتغاء الشفاء في جبالها ،
ثم رحلنا منها إلى أمريكا ، وزرنا كل مدن المياه المعدنية
عدة مرات ، .

ومن كانت أجمل لحظات حياته هى ساعة ميلاد أطفاله إن
يستكثر عليه أحد حزنه وبشته وشجوه ، حينما يرى حفل عيد
الميلاد وقد تحوّل إلى ذكرى وميعاد .

ولم يكن أمام « تيمور » إلا السلوى . . وأين يجدها وريح
« سعيد » تتمثل له كلما وقع نظره على فتى يافع أو شاب ماتع ١٩
البيت بما فيه ومن فيه يهيج الذكرى ، وما أقساها ١١ ولم يكن
له مندوحة إلا في الارتحال . . ورحل إلى أمريكا يلتمس السلوى
والنسيان . . وكان كتاب « أبو الهول يطير » هو نتاج تلك الرحلة
التي أمدته بطاقات جديدة بجوانبها صفات ذلك الكتاب .

عاطفة... وبيئة... ووراسة

تفتحت عيننا صغيرنا «محمود تيمور» على جو ديني محيط به ،
وبيئة إسلامية تتجسم فيها تعاليم الشريعة الحقة ، ومثلها العليا ،
فأشربت نفسه حب الدين ، والحفاظ على طقوسه ورسومه .
وانتابته في حديثه - ككل مؤمن حق بعيد عن التقليد - موجة
من التساؤل عن كنه هذا الدين ، وعن أصوله ورسوله ،
وعاداته وعباداته ، وحكمه وأحكامه . وتجددت أمام بصره
وبصيرته علامات استفهام دينية ، تتطلب أجوبة ليس في مقدوره
- وهو الحدث الناشئ - أن يجيب عنها ، وليس في إمكانية
عقله القاصر أن يصل وحده إلى الكنه وأن يسبر الغور .

واختلطت أمامه المسالك والشعاب ، وتشعبت السبل والطرق ،
ووقف عقله يصارع وحده ما تبدى له من مسائل ومشاكل
ومتاهات . . واستسلمت عاطفته الدينية الغضة إلى وخزات الشك

والحيرة والتردد . . واصطلى بتلك النيران حقة من الوقت
أرقته خلالها الوسوس ، وأقلقه انهمام الحقائق . . ثم ما لبث
أن رأى الطريق أمامه . . طريق الهداية والتقصى والتأمل
بمعالمه المضيئة ، وبحمته المقنع ، وتأمله الهادى الهادف . فسلك
ذلك السبيل الذى أوصله إلى العقيدة المتينة المكيئة ، وإلى
الاعتقاد الجازم العميق ، والإيمان الحى ، واليقين القوى ، بعد
أن بحث ودرس وعلم وتفقه وناقش وجادل وعارض واعترض ،
فتبدد ما ران على القلب من سحاب الوهم وشوائب الريب ،
وتبدى لبصيرته العقيدة المجلوة بمفاهيمها المضيئة وبمعالمها الراسخة
الراسية ، وحكمها وأحكامها واطائفها ودقائقها .

ونُبين لنا ذلك كله تلك الصفحات الأولى من كتابه :
« النبي الإنسان » ، إذ فيها يقول :

« نشأت فألغيت نفسى مسلماً فى بيئة مسلمة أتلقى مراسم الدين
تلقيناً ودراسة ، وأمارس شعائره تقليداً ومحاكاة . . وعلى تعاقب
الملايسات تفقهت فى كثير من الأصول الدينية ما وسعنى أن
أنفقه ، وأصبحت بهذا أخاً فى الإسلام لأهل الإسلام . .

والدين كالوطنية كلاهما يوسم به الطفل يوم يولد ، ويفرض
عليه فيما يستقبل من أيامه ، لا خيرة له فى ذلك ولا طوع ،

فأكثر الناس ينقادون لدين البيئـة أو يهتفون بحق الوطن ،
مسايرة للركب العام ، وانطلاقاً مع التيار الدافق . . وربما
أبى بعض الناس إلا أن يعمـلوا عقولهم ، ويقبلوا أبصارهم سبراً
للأغوار ، واستكـناهاً للحق ، وموازنة بين الدلائل ، حتى
يخرجوا بإيمان صادق ، يستمد حيويته من درس وتبصر ،
ومن يقن واقتناع .

لقد مرّ بي حين من الدهر ، قضيته في عنة واختبار ،
أسائل النفس في شأن هذا الدين الذي تلقاني فتلقيته يوم ولدت ،
إذ فرضته عليّ البيئـة فيما فرضت من أحكام العيش . . وكنت
فيما أسائل به نفسي أطلق لعقل حرية المحاورـة والنقاش ، يتعلق
بما شاء أن يتعلق به من آراء وأفكار ، ويتصفح من وجوه
النظر ما يتاح له أن يتصفح ، لعله ينأى بي عن موقف الشك
والحيرة !! ولم أترك العقل وحده يقضى قضاءه ، وإنما استكملت
وسائل الهداية من طريق التأمل ، واستجلاء البصيرة والوجدان .
وما هذا التأمل والاستبصار إلا أن تدع روحك مخلقة في غير
المنظور ، محاولة أن تستشف سرائر الوجود . . وإنّ في ذلك
كله تهذيباً للعقل ، وصقلاً للمعرفة ، ووقوفاً بالعلم عند حد ،
لا بغي فيه ولا طغيان .

ونفضت يدي من تلك الفترة القاسية . . فترة الصراع

والاختبار والتحصيل .. وكأني محرم ، أو كأني قريب عهد
بالخروج من معتقل يغور بالماء السخين ، أحس أن روحي
قد ذابت أدرانها في حميم الماء ، وأني قد أصبت الطهر العقيم ..
هنا تلبست عقيدتي أنعرّف ، كيف صارت ؟ .. فإذا أنا
- كما أنا - مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله .

ولكن إيماني ساعتهذ بالإسلام ، وبقيتي به كان قد اتخذ
في قرارة قلبي صورة جديدة لم تكن على هذا الوضوح من قبل ..
فقد تمثل لي الدين جوهرأ وروحأ أكثر منه رسوماً وقواعد ،
ومعنى جليلاً أكثر منه لفظاً محدودأ . . لقد أصبح عندي
فكرة عميقة تسرى في شرايين الحياة مسرى الدم في شرايين
الإنسان ، حتى لقد استبان لي هذا الدين فوق الأوامر والنواهي ،
وفوق الرسوم والتعاليم . كان مفتاح فهمي لرسالة الإسلام أني
تصفحت حياة الرسول جانبأ بعد جانب ، فتجلت لي شخصية
عامرة بالعظائم في بناء كيان الأمة ، وفي تقويم خلق الفرد ،
وفي نهج الحياة لسالكينها من سائر الناس . . أخذت بيدي
هذه الشخصية الفذة تهديني طريق الحق والدين ، فوجدتني أحب
هذا الدين ، وأحب فيه رسالته التي جاء بها رحمة وهدي .

سبحانك اللهم وتعاليت فيما قدّرت . وفيما اخترت . .

اصطفيت رسولك محمدأ ، لأداء رسالتك ، فما كان اصطفاؤك

ليا به لهذا الأمر العظيم إلا لأنه كف. له عظيم . . .
 لعمر الحق إن ، محمدآ ، كان بشخصيته وبخصائصه قوة للدين ،
 ومددآ للإيمان ، ومنارآ يرفع الغشاوات ويكشف الحجب . . .
 أينبعث النور وضاحآ من مصباح أقم أغبر ؟ . . .
 لقد حمل ، محمد ، شعلة الإسلام فأضاءت في يده ، وازدادت
 من توهج ، وأشاعت من حوله الدفء والضياء . كانت حياة
 الرسول قبل مبعته حياة تكمن فيها خصائص النبوة ، وتمثل
 أخلاق الرسالة ، فلم يكن - بعد أن بعث رسولا إلى الناس -
 شخصآ جديداً على الناس في الأخلاق والسلوك والأهداف . .
 ولو جاز لنا أن نستشف معالم الإسلام قبل الدعوة المحمدية
 إليه لترأت لنا هذه المعالم من خلال حياة ، محمد ، قبل الإسلام .
 إن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه . . سنة الله في خلقه ،
 ولن تجد لسنة الله تحويلاً . . فلا غرو أن يكون محمد هو الأفق
 الرفيع الذي صاغته يد العناية الإلهية ، لكي يشرق من جانبه
 كوكب الدين باهرآ لآلاء . .

شخصية ، محمد ، ترجمة حية لكتاب الله ، إذا قرأت قرآنه
 طالعتهك الصفائف الفر من حياة رسوله ومن ميزاته ، وكأنما
 شاء الله أن يسوق لنا منهج الدين في كتابه ، وأن يتبعه
 تطبيقاً عملياً ، ونموذجاً بشرياً في حياة ، محمد ، وفيما أثر عنه

من ألوان التصرفات في شتى شئون الحياة ١١

كان محمد، رجل دنيا ودين .. أحب الطيبات من متاع العيش وسعى إليها سعى الأخيار ، بوسائل الأخيار ، لأنه كان يرى الله في كل ما يعمل ، مقيماً ضميره مقام الرقيب الساهر ، وذلك هو جوهر الدين الخالص .. ذلك هو الإسلام .

يحب بك الإسلام أن تستمتع بدنياك طويلاً وعرضاً ما طاب لك ، ويدفع بك إلى الضرب في مناكب الأرض استخلاصاً لما على ظهرها ، وما في باطنها من كل شيء .. فلتفعل ما تهفو إليه نفسك من مأكل ومشرب وملبس ، ولتلتمس كل ملذة من وجهها المشروع .. لا حرج عليك ولا تريب .. ما دام ذلك منك في غمير عدوان ولا سرف .

كان محمد، إنسانياً قبل أن يكون نبياً .. فلما أظلمت نبوته لم تبرحه إنسانيته ، بل زكت وتوهجت ، وبقي إنساناً في جوانب حياته ، تتصل أرومته بأرض البشر ، وتسمو روحه إلى الملأ الأعلى ..

خالط محمد، عشيرته ، ودامج بيئته ؛ فكان منها كما كان لها ، لم تنكر منه نفرة ، ولم تأخذ عليه جفوة ، وإن كانت قد عرفت فيه زعيم انقلاب .. يكافح الفى ، ويعلى كلمة الحق .. أحب محمد، وأبغض ، وأثاب وعاقب ، وعامل الناس

كما يجب أن يعاملوا ، لا رحمة في غير مرحم ، ولا قسوة إلا حين تقتضيها حكمة .. وهكذا عاش « محمد » في دنياه فرداً منها لا شذوذ ولا انفصام .. !

كذلك كان دين « محمد » إنسانياً مثله ، من فهم أسرارهِ من الناس لم يربّه منه شيء ؛ فإنه واجد فيه وشائج النفس البشرية في أطوارها ومنازعها ، وواجد فيه مع ذلك سموّاً بهذه النفس البشرية إلى الأوج الرفيع ..

لكل فرد من الناس - على تفاوت درجاتهم من الغريزة والعقل والمعرفة - مكان في ذلك الدين القيم يسّحه ، ويوفّر له فيه طمأنينة العيش ، وراحة النفس ، وسكينة الضمير .. وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وهذا دين الله الشامل لعباد الله ، ومن أعرف بالناس واختلافهم في الغرائز والعقول والمعارف من رب الناس ؟ .. ومن أخبر بالطبائع والنفوس من رب القلوب ؟ .

ليصدق كل امرئ نفسه .. وليقف موقف الاختيار والتحريض في صراحة وإخلاص ، وليضع نصب عينيه التوفيق بين ما للإنسان من طبع بشري متأصل ، وماله فوق ذلك من طموح روحى إلى المثل العليا من فضيلة .. وعدالة .. وخير .. إنه لو فعل ذلك ، لأيقن - مهما تكن عقيدته في نشأته وبيئته - بأن هناك وشائج موصولة بينه وبين نفسه « محمد »

النبي الإنسان ، وبينه وبين إسلام محمد ، دين الله ... ،
وفي صدر ذلك الكتاب السالف ، النبي الإنسان ، ترنيمة
إلهية ، ومناجاة صوفية ، بل ورد من الأوراد ، كله ابتهاجات
علوية ، وسبحات قدسية ، وصبوات إلهية .. صادرة من أعماق
« تيمور » الصوفي الروحي ، ثم عن تدين موغل في العمق ،
وتكشف عن نفس سمحة خيرة ، ظاهرها كباطنها . صفاء ..
وسموًا .. وإشراقًا .

يقول في ذلك الورد التيموري : « قل يا رب .. يا رب ..
كلمة واحدة .. اذكرها ولا تزد عليها ، فأنت بها في غنية من
مزيد .. رطب لسانك بهذه الكلمة القصيرة ، ودع ما عداها من
كلمات طوال .. انس كل شيء حولك ، بل انس وجودك ، وانس
عليك وخبرتك ، وصح قائلًا : يا رب ..

قلها في صيحة صامتة .. فليس الله بحاجة إلي من يعلى الصوت
ويرفع النداء ..

قلها لنفسك ، ولا تسمعها أحدًا غيرك ، فما انتفاعك بأن
يسمعه الناس منك ، إنما انتفاعك بأن تسمعها أنت نفسك
مناجاة تتجاوب أصدقاؤها في حنايا قلبك ..

قلها كلمة واحدة ، وحسبك بها ، فالله هو الكلمة الواحدة
لهذا الكون الحافل العظيم ..

قلها مرات ومرات .. لا تسأم التكرار والترديد ..
قلها في أى وقت شئت ، وفي أى مكان حللت ، سواء
أكنت في خلوتك ، ظافراً بوحدةك ، أم كنت في معترك العيش
تخوض الزحام .. قلها في إصرار ، في عمق ، في نشوة ..

قلها وأنت في غفوة النوم ، أو في صحو اليقظة ..
قلها في ضراعة المستغيث من كربته ، وفي قوة المطالب بحقه ..
قلها وأودعها كل ما تهفو إليه من مطامح ورجاب ، فإنها
لا تضيق بشيء مما تنفسح له خلجات النفوس وأهواء القلوب ..
قلها وأنت ظالم جشع أو مظلوم موتور ، قلها وأنت منتصر
جبار ، أو مستضعف مهزوم ..

قلها وأنت مسرور ، يهز أعطافك المرح ، أو محزون ينوء
كلهلك بالانقار والخطوب ..

قلها أبدأ ، مهما يكن من أمرك ، وعلى أى حال تكون ،
فإنك بعد أن يلهج بها لسانك ، لا تلبث أن تحس أنك ذلك
المخلوق الذى عرف الخالق ، عرف الله ، فانسكشت له الحقيقة
الأزلية من وجوده ؛ وزالت الغشاوة عن عينيه .. غشاوة
الاختلاف بين إنسان وإنسان ، وإن تباينت الألوان ..

يا رب !

نداء ياله من نداء .. فيه يتركز كل ما يهتف به الدعاة من

صلوات وابتهاالات منذ ارتفع على ظهر الأرض دعاء إلى أن
يطوى الله الأرض والسماء ..

فيه تندمج الأديان ؛ فإذا هي دين الله ، وتألف الأوطان ؛
فإذا هي وطن الإنسان ، فيه ينبض قلب الكون كله نبضة واحدة
ماؤها طهر وصفاء ..

نداء ينتظم الناس أجمعين في سمط واحد هو سمط الإنسانية
الخالدة ..

نداء يسمو بك على كل ما يخدمك في هذه الحياة من جاه
زائف ، ومال زائد ، وسلطان يبيد ..

نداء يصلك بتلك الروحية السرمدية .. روحانية الله في
ملكوته الأعلى ..

يا رب ..

كلمة ينبعث بها صوتك ؛ فإذا هو صدى لصوت البشرية
في كل جيل وقبيل .. البشرية المهتلة دائماً إلى الله ، لأنها أبدأ
في حاجة إليه ، يؤنسها في الوحشة ، ويهديها من الخيرة ،
ويمينها على الطريق ..

مق قلتها في إيمان ويقين ؛ عرفت كيف يستجيب الله الدعاء ،
ويلي النداء ..

مق قلتها في حرارة تذيب نفسك ، وتصهر سريرتك ؛

شعرت بأنك قد اغتسلت وتطهرت ، فتألق نور عينيك ، وشاع
الصفاء بين جنبيك ، وكأنك قد نبت لك جناحان يرفان ، فأنت
بهما في خفة الطير تحلق في الفضاء الفسيح ..

يا رب ..

ما هتفت بك مرة إلا أحسست النورانية تشرق على قلبي ..
ما هتفت بك مرة إلا استشعرت الطمأنينة الساجية تشيع

في نفسي ..

ما هتفت بك مرة إلا آمنت فورة الأمل وانبعث الحيوية ،
لا حيوية الفتك والتدمير ، بل حيوية الحب الشامل العطوف ..

يا رب ..

لا أرهب شيئاً في الوجود ما دام ندائي لك ملء سمعي ..

حتى أنت لا أرهبك ، لأن حبي إياك يعمر قلبي ، والمحـب

الصادق لا يتطرق إلى قلبه الخوف من يحب ..

ما أخافك إلا إن أحسست البعد عنك ، وكيف أبعد عنك

وأنا بنداؤي لك قريب منك ..

ربما كنت أنا خاطئاً فيما كتب على من شر ، ولكني

أحب فيك الخير يا صانع كل خير ، أحب فيك الطمأنينة

والسلام ، يا منبع كل طمأنينة وسلام ..

يا رب .. ما أسعدني بحبي إياك ..

أنا لا أخشى أعاصير الحياة ، لأنى فى عصمة منها بالطلاسم ،
ولست هذه الطلاسم إلا ما أجد لك فى قلبى من حب دائم
موصول . أنا لا أضيق بالآلام ذرعاً ، لأنى أجد فى نسمة
رضاك ما يمحو الآلام ، وبأسو الجراح ..
يا رب ..

لم أعد أعرف إلا وجودك معى .. حتى الموت لا أرهبه
ولا أتهديه ؛ فهو يدننى منك ، ويحلولى وجهك الواضح . أقام
- إذا نمت - مطمئناً رضى البال ، فاسمك آخر ما تلفظ به شفتاى ،
وأصحو - إذا صحت - متفائلاً طلق الأسارى ، فندائى لك أول
ما يلهج به لسانى .

ما أحوجننا إلى أن نراك رأى البصيرة ، فالبصائر أقوى
على الاتصال بكل ما هو مكنون ، بكل ما هو حق ، بكل
ما هو خير ..

نريد أن نستجلى ببصيرتنا ضوءك ، لى نعرف من حنائك
وشفتك ، لى نروى قلوبنا بمحبتك ..

إننا ننشوف إلى رؤيتك ، فلا تحجب عنا قبساً من
نورانيتك ..

إننا نحس الوحشة فى عالمنا على ضجته ، فهى ضجة الطبل
الأجوف ، تثير فينا فزعاً ورهبة !

إذا لم نستشعر وجودك يفيض علينا أنساً ودعة ، فنحن
في وحدة وانفراد ، وإن كنا في جمع حاشد ، وشمل جميع ..
فلا نكلنا إلى هذه الوحدة الموحشة .. وحدة النفس المشردة ..
لا سكينه ولا سلوى ..

* * *

يا رب ..
نحن في اضطراب يتلوه اضطراب ، تسلمنا أَلغاز الحياة
إلى أَلغاز ..

نحن في ظلمة حالكة ، حيارى ، لا ندري أين المساق ١٩
فاكشف عنا الحجب ، واهتك أستار الظلام ، وأشرق علينا
بنورك .. نور الحق .. والخير .. والحب .. والسلام ..

يا رب ..
لأنك لتسمع دعائى .. ولأنك لتجيب ندائى ..
كلماتك تتأدى إلى ، بلا واسطة من أصوات ، فإن الأصوات
تطرق الأذان ، ولكن كلماتك تنفذ نورا إلى القلوب ..

أسمعنى صونك يا رب ..
أز بصيرتى لرؤيتك يا رب ..
أسقنى من فيض رحمتك يا أرحم الراحمين .. ،

تيمور الجمعي

وظل د محمود تيمور ، يكتب ، ويتألق في أدبه ، ويتأقلم في كتابته ، متطوراً مع الأحداث ، منفعلاً بالإنجازات الحديثة . وكتب أكثر من ثلاثمائة قصة قصيرة . . ثم ضمن عديداً من هذه القصص في مجموعات بلغت خمس عشرة مجموعة قصصية . وقد خرج بالقصة القصيرة من السذاجة والسرود إلى الحكمة ، وقوة الربط ، وتركيز الأحداث ، وتحليل المشاعر والأحاسيس مع الإثارة والتشويق .

على أن « القارئ التاريخي » - إن صح هذا التعبير - يجد أن قصصه لم تلتزم التعبير اللغوي الفصيح منذ أن أخذ يعالج كتابة القصة ، فهو قد كتب في مطلع حياته الأدبية قصصاً عديدة بلغة التخاطب والمشاغبة . . ثم ألزم نفسه بعد ذلك بالتعبير اللغوي الصحيح الفصيح ، واتخذ ذلك ديدناً له وناموساً ،

وصل به إلى حد التعصب اللغوى ، لذا رجع إلى ما كتب
في صدر شبابه فهذب به وشذب به .. هذب من ناحية التعبير فحسب ،
أما الفكرة وجوهر القصة وهيكلها فقد أبقي كل ذلك كما هو ،
وقبني على آثار الكلمات الدارجة الموغلة في العامية التي لا نصيب
لها من سماع أو قياس ، واستبدل بها كلمات صحاحاً فصاحاً ،
وهو يعمل هذا التطور التعبيري فيقول :

« .. وإنما حقيقة الأمر أنى نشأت - والشباب جديد -
في عصر تنادينا فيه بالقومية المحلية ، والشخصية المستقلة تمشياً
مع النزعات الوطنية يومئذ ، وكانت العامية في رأى شباب ذلك
العصر من مقومات الشخصية ، ومن مظاهر القومية ، ومن
دلائل الاستقلال ، فأقبلنا على الكتابة ونصب أعيننا الترحيب
بالتعبير المصرى الصميم المعبر عن نفسياتنا وبيئتنا وحياتنا .
وربما كان مما أيد وجهة نظرنا أن أساليب الكتابة بالفصحى
كانت غارقة في زخارف لفظية ، ومحسنات بديعية ، وأوضاع
جامدة لا حياة فيها ولا روح ؛ فأقبلنا على كتابة قصصنا
بالأدب الحى ..

ثم مضينا في تجاربنا ، ونهضت الأساليب الفصيحة نهضة
عظيمة ، وتخلصت من الزخرف والتكلف .. وظهر كتاب
يحملون أقلماً بليغة يعالجون بها موضوعات عصرية فنية حية ..

وكذلك قرأنا بما أحيانا من الأدب القديم أساليب ناصعة ، فيها خفة الفن وروعة الموضوع ، والتسامي إلى الأوج في التعبير الدقيق ، فكان ذلك كله حافزاً على أن نرجع إلى حظيرة الفصحى ونستمسك بها . وما شدد عزمنا في هذا السبيل ، وحث من خطانا على هذا الدرب ، أننا أدركنا أن العربية ، وأن أدبنا العربي ، ليس محدوداً بمحدود مصريتنا الضيقة في ذلك العهد ، وإنما نحن إمبراطورية عربية سبيل التفاهم بين أطرافها هو الفصحى ، فن كتب بعامية العراق فلن يجاوز بأدبه أبواب للعراق ، وقل مثل ذلك في بقية أطراف البلاد العربية .. وأما من كتب بالفصحى فهو يكتب بلغة عالمية يقرأها الملايين في الشرق والغرب ، لا من الخليج إلى المحيط فحسب ، ولكن في كل مكان على ظهر الأرض .

ويمكن أن أحدد العهد الذي بدأت أرى فيه جانب الفصحى كل الرعاية بأنه قبل عشرين سنة أو تزيد .. عندما أخرجت الطبعة الأولى من « فرعون الصغير » و « مكتوب على الجبين » و « نداء الجهول » وغيرها .. وهذا قبل دخولي المجمع بأكثر من عشر سنوات .. ومن يدري ؟ . فلعل هذا كان بما رشحتني عند السالفين من أعضاء المجمع أن أكون لهم زميلاً ..

على أن اللغة الفصحى من أطوع الأدوات للتعبير عن الفكرة

ونقل الإحساس والتأثير في الأذهان ..

والفنان ما دام موفور الحظ من قبسة الفن فهو يعتبر بأية لغة يريد ، إذا كانت هذه اللغة غنية بأساليب التعبير ، بل إن الأديب العنان يثرى اللغة ويقويها بوفرة إحساسه وقوة أدائه .. وكمن أدباء أحيوا لغات بفضل نتائج قرائحهم الوفاة ، وعبقرياتهم الممتدة .. وكمن لغات استطاعت أن تستوعب أدب الفنانين العبقرة في قوة ونصوع .. واللغة الفصحى في مقدمة هذه اللغات ، إذ استطاعت أن تستوعب حكمة « ابن المقفع » ، وسخرية « الجاحظ » ، وعبقرية « المتنبي » ، وفلسفة « أبي العلاء » .. فهل كان التزام هؤلاء وأمثالهم من العشرات بل المئات بل الآلاف للفصحى مانعاً من أن يتجلى في أدبهم إحساس الفنان ؟

ولئن في الحين بعد الحين أراجع قصصى تمهيداً لإعادة طبعها ، لنفاد نسخها .. فأراني مضطراً إلى الإمساك بالقلم ، وإعمال الفكر ، واستلهام الفن ..

ذلك لأن القصة شطران : شطر موضوعي ، فيه حدث القصة وهدفها ، وشطرن في ، فيه حوارها ومعالجتها وصنعيتها بحسب قدرة المؤلف الحرفية .. أما الشطر الموضوعي فقلها أمسهه ، لأن موضوعات قصصى دائماً حبيبة إلى نفسي ، ولها شخصيتها عندي .. وما أظنني غضبت على شيء منها إلا في القدرة ، وأشبهها

بأبناء الإنسان كلهم أعمام . . ومن الشذوذ أن يخلع الأب
أحد بنيه . .

وأما الشطر الفني فإن الفنان متجدد ، وقلما يرضى عن
صنمته على الدوام ، فهو طامح إلى الأعلى ، راغب في الأكل ،
تظهر له عيوب لم تكن تظهر له فيما مضى ، ولهذا يلجأ إلى
تنقيح العرض ، وإجادة التصوير ، وصقل الشخصيات ، وإتقان
العلاج ، وهذا تطور طبيعي للفنان نفسه ، وللعمل الفني تبعاً له . .

وقديماً قال الأصمهانى كلمة بليغة لا أذكر نصها ، ولكن
معناها أنه ما من كاتب كتب شيئاً في يومه ، إلا قال في غده :
لو غير هذا لكان أحسن ، ولو استبدل بهذا لكان يستحسن . .
فأنت ترى أنى لم أغير إحساسى ، ولا نظرتى للأمر فى القصص
التي أعدت كسابقها ، وإنما حاولت أن أعرضها مرة أخرى
فى الثوب الذى أراه أكل لها وأوفى بها ، وأجود أن يدنيها
من مراتب السمو الفنى . .

تقدير وتوثيق

وفي عام ١٩٤٧ قرر مجمع اللغة العربية تنويع جميع الإنتاج القصصى لمحمود تيمور .. ومنحه الجائزة الأولى للقصة . وقد أعلن المجمع قراره هذا في حفل أقامه تكريماً لتيمور يوم ٥ من ابريل سنة ١٩٤٧ بدار الجمعية الجغرافية . وقد ألقى الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع في هذا الحفل بحثاً جاء فيه :

« اختار المجمع اللغوى في هذا العام من بين المبرزين في القصة الأستاذ الكبير « محمود تيمور » . فأهداه جائزة القصة إشارة منه إلى هذا المعنى ، ثم اعترافاً بما للأستاذ الكبير من أثر محمود في القصة في أدبنا الحديث ..

فقد ألّف الأستاذ « محمود تيمور » نحو خمسة وعشرين كتاباً ، بعضها مجموعات من قصص قصيرة ، وبعضها قصص تمثيلية ،

والبعض روايات قصصية مطوّلة ، ومنها كتب في الرحلات على نحو مستحدث في الأدب العربي . ومنها كذلك كتب مقالات ساخرة في نقد المجتمع ، وآخر في أصول فن القصص ودقائقه ، وألّف كذلك قصصاً سينمائية ، مثلت منها على اللوحة الفضية روايته « رابحة » ، فكانت مسرحية موفقة في عالم الخيالة . .

فأكثر جهود الأستاذ « تيمور » متجهة كما يظهر إلى نوعين من القصة : التمثيلية ، والقصة القصيرة . . وقد كانت القصة التمثيلية عنده أسلوباً في الكتابة لا يقصد بها الانجاء إلى التمثيل على المسارح فتمثيلات « تيمور » أقرب إلى أن تكون نوعاً آخر من القصة القصيرة .

والفرق بين النوعين : أن التمثيلية تعتمد في تصوير الأشخاص على محاورات أحاديثهم وحركاتهم ، على حين أن القصة تعتمد على الأكثر في تصوير الأشخاص على وصف هيئاتهم ووصف مواقفهم وما يبدو من أعمالهم .

ولسنا هنا في سبيل التعرض لطريقة « تيمور » في فنه ولا التحدث تفصيلاً عن مذهبه في القصة . وحسبنا أن نشير إلى أنه في كل آثاره يتجه نحو إبراز الفكرة الواحدة يعرضها في إطار محدود . ومن ثم يمكن أن نقول : إن فن القصة القصيرة وما يتصل بها من المسرحيات القصيرة هو الجانب الذي خص به فنه إلى الآن ،

فهو في أدبنا الحديث يشبهه « تشيكوف » و « مكسيم جوركي »
في الأدب الروسي ، و « موباسان » في الأدب الفرنسي .

ولا يملك المتتبع لآثار « تيمور » إلا أن يرى الفرق واضحاً
بين آثاره الأولى وآثاره الأخيرة .

ولعل مجموعة قصصه « فرعون الصغير » هي التي تمثل لنا روح
فنه في العصر الأول . وهو يسير فيها - على عادته - يرسم الأشخاص
في براعة حتى يكاد القارئ يلمح فيهم بعض من عرف من جيرانه ،
ولكن حماسة الشباب تبدو واضحة في أسلوبه ، ففيه يعلو صوته ،
وتشتد حركته ، حتى لقد تبلغ ما يشبه العنف ، ثم هو يمسد
أحياناً إلى شيء من المفاجأة ، وقد يظهر ما ينم عن الحقنق
أو الأحكام الخلقية .

ولكن آثاره الأخيرة تنم عن تغير محسوس في أسلوب التعبير ،
فهو يرسم الأشخاص كما اعتاد أن يرسمهم في براعة ، ولكنه يتحدث
هادئاً مترقياً ، منخفض الصوت رقيق الحركة ، نحس في كل عباراته
أن قلبه مملوء عظماً على الإنسان .

ولنا نستطيع أن نقول في ثقة أنه قد بلغ في بعض قصصه
الأخيرة مرتبة عالية حق لنا أن نقاخر بها ؛ فهو في قصته
« ولي الله » من مجموعة « شفاه غليظة » يصور أسمى جانب من

القلب الإنساني عندما يصور لنا أن هناك ما هو أعلى من
عدالة القوانين .

وفي قصة « كلب أسعد بك » ، يرسم لنا في وداعة صورة اجتماع
السمو والأسفاف في الحطام البشري . وفي قصة « البديل » ، يصور لنا
كيف تنطوى أسمة العواطف في كلب الإنسان ، وإن كان في عرف
المجتمع الجامد موضعاً للزراية . ففي مثل هذه القصص يظهر فن
« تيمور » ، رائعاً إذا قيس بأعلى آثار القصص في الأدب العالمي .

وإذا كان الأستاذ « تيمور » ، قد اتجه في بعض قصصه نحو مجاراته
الكتابة الدارجة ، فالظاهر أنه قد وجد اللغة العربية الصميمة أولى
بفنه فنحن أخيراً في أسلوبه منحنى يجمع الصحة والسلامة والسهولة .
ولعل هذا إعراف منه بما تنتظر اللغة العربية من فنه .

فإذا أردنا أن نجمل ما يمتاز به طريقة الأستاذ « تيمور » ، في قصصه ،
كان لنا أن نقول على طريقة القدماء في وصف الأدباء :

لأنه يمتاز بثلاث :

لأنه يرسم الأشخاص حتى إنك لتحس أنفاسهم وتلمح الحياة
في سهولة حركاتهم . . .

ولأنه يكتب في لغة سليمة لا تحجب شيئاً من معانيه . .

ولأن فنه يشيع فيه روح وديع من الإنسانية لا تحس معه

حرارة في وصفه ، حتى ليكاد يحجب إليك الضعف الإنساني .

إن « تيمور » إذ يتحدث عن الناس في ضعفهم يتحدث عاطفاً كأنما هو يحبهم لما فيهم من العيوب ، ويصور سموهم معجباً بغير أن يجعل الإعجاب يخدعه عن الحب .

ولهذا يعتقد أنه أبرع ما يكون وأحلى إذا تحدث عن الناس كما يراهم في لمحات قصيرة كأنه عابر طريق . .

وهو في ذلك يخدم الأدب من ناحيتين :

الأولى : أنه يشير إلى مثله الأعلى الإنساني ، ويصوره لنا في صورته الباردة .

الثانية : أنه يعرفنا بالجانب الذي يعرفه من مجتمعه المصري ، فهو معلم من معلمى هذا الجيل ، وهو عامل من العوامل القوية على تعريفنا بأنفسنا .

وإذا كان للقصص الرمزي والأسطوري فنه وفنانوه . . وإذا كان للقصص الطويل فنه وفنانوه . . وإذا كان للنقد الثائر فنه وفنانوه ، فإن فن « تيمور » هو : القصص القصير الواقعي الإنساني المملوء بحبة للإنسان .

ولا يزال الأستاذ « تيمور » يتحف الأدب بروائع قصصه وتمثيلياته المسرحية والسينمائية .

وله في ميدان الصحافة بجهود مشكور ، فما من مجلة أو صحيفة
أسبوعية أو يومية إلا تلمح فيها آثاره القصصية ومقالاته الاجتماعية
على نحو مبتكر يفيض إصلاحاً ، ويخالط الجذبة فيه روح ساخر من
المداعبة والنقد الأصيل في ثوب يشيع الفن في جنباته ونواحيه .
ولأنه ليشرفني أن أنوب عن المجمع اللغوي في توجيه الثناء إليه ،
راجياً له اطراد التوفيق والسمو ، سائلاً الله أن يمدد بروح من عنده
حتى تتسكون للعربية الشريفة ثروة من ثمار إنتاجه وإنتاج أئداده
من المبرزين في فن القصة الذين تعز بهم العروبة ، .

مع الخالدين

تعيين .. واستقبال

وفي سنة ١٩٤٩ عُنِنَ محمود تيمور ، عضواً في مجمع اللغة العربية .
واستقبله المجمع في جلسة علنية عقدها المجمع يوم الخميس ١٦ من يناير
سنة ١٩٥٠ ، وارتجل الدكتور طه حسين عضو المجمع الذي كان
وزيراً للمعارف ، وقتذاك ..

ارتجل الكلمة الآتية في استقبال «محمود تيمور» بمناسبة تعيينه
عضواً بالمجمع :

سبيلى رئيس المجمع

سبيلى الزميل الجديد

إني لسعيد كل السعادة بأن أنوب عن مجتمعنا في استقبالك ،
بعد أن أظهر أعضاؤه حرصهم على أن تكون بينهم ، وعلى أن
تشاركهم فيما يبذلون من جهد لصيانة اللغة العربية ، والمحافظة

على سلامتها ، وتمكينها من أن تكون منتجة ملائمة لمقتضيات الحياة على اختلاف عصورها .

فأنت تعلم أن الجمع ليس نظاماً مقصوراً على عصر دون عصر ، وإنما هو نظام خالد ما خلدت « مصر » ، وكل واحد من أعضائه إنما استعار من خلود هذا النظام لقبه الذي عرف به الجمعيون في « فرنسا » ، وهو لقب « الخالد » ، فنحن إنما نخلد بخلود هذا النظام الذي أنشئ ليبقى ما بقيت « مصر » ، وما بقيت اللغة العربية .

وأنت منذ اليوم قد أقبلت لتشاركنا في هذا الجهد ، ولتشاركنا في تمكين هذا النظام من الإنتاج . وقد أنابنى الجمع ، وركل إلى الرئيس أن أهدى إليك لقب الجمعيين فتصبح خالداً من الخالدين .

وصدقني أيها الزميل العزيز إنك لم تكن في حاجة إلى هذا الخلود المستعار ، فقد اتخذت لنفسك من جهدك وخصب ذهنك ونضج عقلك وذكاء قلبك وإنتاجك الرائع المبدع ، خلوداً أبقي وأشملي وأخص من هذا الخلود الذي لا نكسبه من أنفسنا ، وإنما نستعيره استعارة من عمل يبقى هو ونزول نحن . فأما أنت فإن الخلود الذي اكتسبته لنفسك يبقى مهما تكن الظروف ، ومهما تكن الأحوال ، سواء اتصلت بالجمع أم لم تتصل به .

وأنت تعلم أن في الجمعيين شيئاً غير قليل من الفضول ،

وأن فيهم كذلك شيئاً غير قليل من هذه الخصلة التي يحجبها الأفلون
ويغضها الأكثرون وهي خصلة البحث والاستقصاء ، فليس كل الناس
يحب البحث ، وليس كل الناس يستظرف الإقصاء ، وإنما هي
خصلة موقوفة على قوم شذوا في الحياة الاجتماعية .. كرسوا
أنفسهم للبحث والدرس ، ولاستكشاف الحقيقة والناسها حيث
تكون .. وهم من أجل ذلك يكلفون أنفسهم من الجهد ما يكلفونها ،
وبهم رضون لكثير من العبث ولكثير من السخرية أحياناً .
وقد امتحنت لكي تكون بين هؤلاء الناس ، فاحتمل هذا الامتحان
صابراً ، ولك أجر المعذنين الممتحنين .

وأول ما يفرض على هذا الموقف حين أستقبلك ، هو أن
أخرج عن مألوف أوضاعنا الاجتماعية فأحدث إليك بما تعلم
وبما لا تعلم من أمرك ، وأظهر لك على أشياء لعلك كنت تعرفها ،
وعلى أشياء أخرى لعلك لم تلتفت إليها ، ولم تقف عندها ،
وأظنك أنك لا تعرف أنك قد نشأت في أسرة كريمة كل الكرم ،
عزيرة كل العزة ، لها سابقة في المجد ، ولها سابقة - بنوع خاص -
في حب الأدب والعلم والبحث والإنتاج والتفوق في هذه كلها .

ولأمر ما أحبت العلم والأدب أسرتك منذ استقرت في مصر ،
لجذك لإسماعيل تيمور ، كان محباً للعلم ، ميالاً أشد الميل إلى العزلة ،
حريصاً كل الحرص على أن يقرأ ويبحث ويستقصى ، مؤثراً

صحبة الكتاب على صحبة الكبراء والأمرء ، لا يكاد يلى منصب الحكم إلا حين يستكره عليه استكراهاً ، ولا يكاد يبلغ هذا المنصب بعد الجهد حتى يحتال لينخرج منه ويعود إلى كتبه .

والدك العظيم « أحمد تيمور » ليس فى حاجة إلى أن تذكر مكانه فى الأدب ، ومكانه فى العلم ، وفى المعرفة باللغة العربية وتاريخها وتطورها ، وما كتب حول تاريخها وحول تطورها منذ أقدم العصور .

ولعلك تعلم - أو لا تعلم - أن المكتبة التى ورثها أبوك العظيم عن والده ، ثم نماها وقواها وزاد فيها ، هى ثلاثة مكتبات ثلاث : دار الكتب المصرية ، والمكتبة الأزهرية ، ومكتبة « تيمور » ، وهى عدا ذاك قد تمتاز بمجموعة من المخطوطات القيمة ليست فى هذه المكتبة أو فى تلك .

كان لذن محبباً للكتاب ، ثم كان لا يكتفى بهذا الحب الظاهر الرفيق ، وإنما يحب ويريد أن يزدرد ما يحبه ازدراداً ، فكان لا تصل يده إلى كتاب إلا قرأه وأعاد قراءته ، واستخلص منه ثمرة وخلاصته .

ورث كثيراً من ذلك عن أبيه ، وأضاف إلى ما ورث بمجده وكده ومواهبه الخاصة شيئاً كثيراً .

و «عمتك» ، سبقت إلى مجد أدبي خالد ، فليس بين المشتغلين
في الشرق العربي ، بل في الشرق كله ، من يجهل «عائشة التيمورية»
ومن يجهل أثرها في الشعر العربي والتركي والفارسي .

فأنت - إذن - سليل هذه الأسرة التي نشأت في العلم والأدب
والمجد جميعاً . ألفت هذه كلها وألفتك ، فليست غريبة عليك ،
ولست غريباً عليها .

والغريب في هذا كله أن هذا التراث الكريم لم يقتصر نقله
على فرد من أفراد الأسرة دون سائر أفرادها ، ولم يستبد به
أبوك حين ورثه عن أبيه ، وإنما شاركته فيه أخته «عائشة»
مشاركة ممتازة .

ولم تستبد أنت به حين ورثته عن أبيك ، وإنما شاركك
فيه أخواك : «إسماعيل تيمور» و «محمد تيمور» ، وشاركك
«محمد تيمور» مشاركة لا أقول ممتازة وإنما أقول رائعة ، ولعله
سبقك إلى هذه المشاركة . كنتمما شريكين في حب الأدب
والبحث والدرس والإنتاج . لكنك سبقتك إلى التفوق والامتياز ،
وعسى أن يكون قد وجهك التوجيه الذي أتاح لك ما بلغت
الآن من نضج وتفوق ونمو .

والجيل المصري الحديث لا يستطيع أن ينسى فضل أخيك

على التمثيل ممثلاً أولاً ، وكاتباً وممثلاً بعد ذلك ، ثم كاتباً يكرس
جهده للإنتاج للفن آخر الأمر ، يكتب في اللغة العربية الفصحى ،
ويكتب في اللغة العربية العامية ، ولا يكاد يكتب ، ولا يكاد
الناس يقرءون بعض ما يكتب ، حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل
الفتاح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستثمار كله .

وأكد أخشى عليك من كل هذا المجد ، وأكاد أشفق عليك
من كل هذا التراث الضخم الثقيل . فقد يخيل إلى الذين لا يستقصون
ولا يتعمقون الأشياء كما يفعل المجتهدون ، أنك في هذا إنما
حفظت ما أحفظك أو ما أوردك آباؤك ، وأخوك .

ولم تكذب تجدد شيئاً ، فمن الجائز ألا يستغرب أن تكون
ناطقة ممتازاً ، فقد أزهرت ونشأت وشببت في أسرة ناطقة ممتازة .

ولكن نحن الذين نؤثر العمق والبحث لا نكاد ننظر إلى شيء
يسير من آثارك الكثيرة حتى نستيقن أنك قد تفوقت على هذه
الأسرة الممتازة كلها . أخذت خير ما عندها ، وأضفت إليها
ما لم تستطع هي أن تصل إليه .

شاركت أبوك في العلم ، وفي جمع الآثار العلمية القيمة .
وقراءتها وتدوونها ، وهذه كلها من الخصال الكريمة الرائعة .
ولكنك توافقي على أن الذين يشاركون آباءك في هذا كثيرون
في شرق الأرض وغربها .

وسبق أخوك إلا الإجابة في التمثيل ، ولكنك توافقتى على
أن الذين أجادوا في التمثيل ليسوا قليلين .

وسبقت أنت إلى شيء لا أعرف أن أحداً شاركك فيه
في الشرق العربي كله إلى الآن ، وإذا ذهب أحد مذهبك أو جاء
أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك
لأنك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعى ،
وأنت له أن ينتج وأن يمتاز وأن يتفوق .

هذا الذى تفوقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلوداً
فى تاريخ الأدب العربى لا سبيل إلى أن يمحو : هو القصص
على مذهبه الحديث فى العالم الغربى .

ولست أدرى ما الذى كان بينك وبين القصص من هذا
الحب الغريب ، فقد كنت فى صباك مشغولاً بقراءته ، حريصاً
على أن تمضى بياض يومك وسواد ليلتك فى « ألف ليلة وليلة » ،
تسكاد تؤثر ذلك على الدرس المنظم الرسمى ، ولم تسكد تتعلم اللغة
الأجنبية حتى التمس القصص فى هذه اللغة التى تعلمتها .

ثم لم تسكد تبلى من الثقافة حظاً يتيح لك التوسع فى القراءة
حتى أسرع إلى الآداب القصصية فى اللغات الأجنبية على اختلافها ،
فقرأت القصص الفرنسى ، وقرأت القصص الروسى ، وقرأت

من القصص الألماني والإنجليزي غير قليل . عشت للقصص ،
وكاد القصص أن يعيش لك في مصر ، وامتزجت بالقصص ،
حتى كدت تصبح قصة ١١

ومن الناس من يحب القصص ، ويعكف عليها ، وينفق
عمره فيها ، يريد أن يأخذ منها ما يستطيع دون أن يقدر على
أن يرد بعض ما أخذ أو يعطي بعض ما استعار .

ولكنك لم تكن من هؤلاء . . لم تكن تحب القصص
لتأخذ فحسب ، وإنما كنت تحب القصص لتأخذ ثم تقلد ،
ثم تلتبس شخصيتك ثم تظفر بها ، ثم تنتج فتملاً الشرق والغرب
أدباً وحكمة وفقهاً لشئون الحياة ، كسأروع ما يكون الأدب
والحكمة والفقه في شئون الحياة .

فأدبك ليس مقصوراً على « مصر » ، ولا هو مقصور على
البلاد العربية وحدها ، ولكنه تجاوز حدود مصر ثم ضاقت
به حدود البلاد العربية ، فعب البحر إلى أقطار مختلفة من « أوروبا » .
تُرجمت إلى الفرنسية والإنجليزية ، وأحسب أنك تُرجمت
إلى اللغة الروسية أيضاً .

فإذا قيل إنك أديب مصري ففي ذلك غضٌّ منك ، وإذا قيل إنك
أديب عربي ففي ذلك تقصير في ذاتك ، وإنك توفى حقك إذا

قيل إنك أديب عالمي ، بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها وأعماها . إنك حين قصدت إلى القصص . أحببت أول ما أحببت هذا القصص العربي الشعبي اليسير ، الذي يتحدث عن القلوب وعن الطبايع وعن الأذواق المصفاة في غير مشقة ولا تكلف ولا عناء ، هذا الأدب اليسير الذي تودريه الخاصة المثقفة في البلاد العربية ، وتهوى إليه قلوب العامة فتكون منه أذواقها وتكون منه شعورها . وقد أحببت هذا الأدب كما تحبه العامة ، أخلصت له وأخلص لك ، وكنت تكون عاميًّا في حبك له وكلفك به .

وليس هذا غريباً ، فإنك حين حاولت أن تكتب القصص وتصبح منتجاً بعد أن كنت مستهلكاً ، كان التعبير على هذا المنهج العامي اليسير البسيط هو أول ما قصدت إليه ونجحت فيه .

ففي أطوار حياتك الأدبية ما يعطى منك صورة القاص العربي الذي يصل إلى أعماق الحياة ويفقه كنهها ويستخلص صفوتها ، يصوغ ذلك صياغة حسنة ، فإذا كتب قرأه العامي لأنه يلائم ذوقه وقلبه وطبعه ، وقرأه الرجل الخاص لأن فيه من الابتكار في المعاني ما لا يحده في كثير جداً من الأدب الخاص الممتاز .

ويظهر أنك حاولت أن تحتفظ بهذه النزعة الشعبية في التعبير فكان بينك وبين اللغة العربية الفصحى صراع شديد . كانت تريد أن تغلبك على أمرك ، وكنت تريد أن تقاومها . .

وكانت اللغة العربية الفصحى تنسل إلى أسلوبك وألفاظك
الخاصة بين حين وحين

وإذا أدبك الشعبي يأخذ قليلا قليلا مسحة من روعة اللغة
العربية الفصحى .

ولعلك تذكر . . وإنى أذكرك . إن كنت قد نسيت . حديثاً
ألقيته في بعض مؤتمرات المستشرقين ، وكدت تخلص فيه للدفاع
عن اللغة العامية ، وضقت أنا في ذلك اليوم بهذا الدفاع ،
ولم تكن تقدر أنك ستكون مجعياً في يوم من الأيام ، ولم تكن
تقدر أن اللغة العربية أقوى منك كما كانت أقوى من كثير جداً
لا من الأفراد ، بل من الشعوب ، ولم تقدر أنك ستضطر في يوم
من الأيام أن تكون من حماة هذه اللغة العربية الفصحى التي
كنت تؤثر عليها اللغة العامية في بعض الأوقات .

ثم نرى تغلب هذه اللغة العربية عليك شيئاً فشيئاً ، وإذا هي
تلتهمك التهاماً ، وإذا هي تصوغك على ما تريد هي لا على ما كنت
تريد أنت ، وإذا أنت لا تستطيع أن تكبرها إلا على شيء واحد ،
هو خير ما نحب لها ، وهو خير ما تحب لنفسها ، فكبرها
على أن تطبق من المعاني والخواطر والفنون الرائعة الأدبية
الجديدة ما لم تألفه من قبل ، وإذا أنت من الممرنين لها أحسن

تمرين ، تسكفها أن تصوغ ما لم تتعود أن تصوغ ، وتؤدى بها معانى لم تكن تكلف لأديتها من قبل .

قرأت حديث « عيسى بن هشام » حين كنت صبياً فلم تتأثر به ، وأكبر الظن أنك لم تتأثر به لأنه كتب على منهج « الهمذاني » ، وأنت كنت تؤثر عليه قصص ألف ليلة وليلة .

وحين استأثرت بك اللغة العربية لم تفرض عليك أسلوب « عيسى بن هشام » ، ولم تفرض عليك أسلوب « الجاحظ » ، ولم تفرض عليك أسلوب القدماء ، وإنما كانت بينك وبينها هدنة اكتفت منك بأن تخضع لها ، وقبلت منك أن تفرض عليها أسلوبك الخاص .

لم تقبل ذلك منك عن ذلة أو ضعف أو استكانة ، وإنما قبلت ذلك منك لأنها واسعة الصدر ، سمحة النفس ، تؤثر أن تأخذ أكثر مما تعطى ، وتقبل ما يهدى إليها ليضاعف من ثروتها ويمنحها الغنى والسعة ، وأنت قد أكسبتها بأسلوبك الجديد سعة وقوة وقدرة ومرونة لم تكن لها من قبل .

وإني أقرأ آثارك التي كتبتها - باللغة العامية - فأرتاح لها أشد الارتياح ، على رغم نفورى من اللغة العامية حين تكتب ، وحبى لها حين يتكلمها الناس .

ثم أقرأ الآثار التي تكتبها باللغة العربية الفصحى فأفتن بها
الفتنة كلها . تفتنى معانيها التي كانت تفتنى حين كانت تلبس
الثوب العامى المهمل . . ويفتنى لفظها لسحره وروعته ، فى سهولة
ويسر ، وفى غير تكلف ولا عنف ، وفى غير بحث عن ألفاظ
غريبة ، ولا محاولة لتجميلها وترشيحها .

وأمرك غريب أيها الزميل العزيز ، كنت تكتب العامية
فكانت تأتى كأنما يتفجر بها ينبوع . . ثم أخذت تكتب
العربية الفصحى فكانت تأتى كأنما يتدفق بها نهر ضخمة . .
فأنت رائع حين تكتب العامية . . وأنت رائع حين
تكتب فى اللغة العربية . .

والحمد لله على أن اللغة العربية قد استأثرت بك الاستئثار
كله ، فقد كنت عدوًّا لها عنيفاً ، تحب العامية حين كنّا نريد
أن نبغضها إلى الناس ، فانتصرت اللغة العربية عليك انتصاراً رائعاً
لا شك فيه .

وأنت كاتب حلو النفس ، عذب الروح ، خفيف الظل ،
لا تثقل على قرائك مهما يطيلوا عشتك .

وأذكر أنى تلقيت ذات مرة فى باريس « سلوى فى مهب الريح »
فترددت فى قراءتها ، وآثرت أن أقرأ ما كنت أقرأ فيه من

الأدب الفرنسى على اختلافه . ولا سيما حين أكون فى فرنسا ،
ولكننى لا أستطيع أن أردّ نفسى عن قراءة آثارك ؛ فأخذت
نفسى بأن أقرأ من كتابك هذا صحفاً بين حين وحين ، على
ألا يصرفنى عما أنا فيه من قراءة فى الأدب الفرنسى ، وأقسم
ما بدأته حتى أعرضت عن كل ما أنا فيه ، ومضيت فى قراءته .
حتى أتممت كتابك على طوله ، ولم أقطع القراءة إلا حين
لم يكن من قطعها بد .

وهذا شأن غيرها من القصص الذى نكتبه باللغة العربية .

يأتى هذا كله من أنك دقيق فى التصوير ، ومن أنك
متعمق لحقائق الأشياء دون أن يظهر تعمقك للقراء ، ودون
أن تقول للقارى : انظر ، ألا ترى أنى قد بحثت فأحسن
البحث ، واستقصيت فأحسن الاستقصاء ، ودون أن تصنع
صنيع « البحترى » حين كان ينشد بعض قصائده ، فإذا رأى
من « المتوكل » ومن حوله شيئاً من الغثور سأل : ما لكم
لا تعجبون ؟ ما لكم لا تصفقون ؟ وفيك بعد هذا كله
دعابة حلوة ، لا يكاد الإنسان يبلغها حتى يقف عندها ، ثم
يمضى فى قراءتها ، ولا يفنى هذه الدعابة . دعابة فى اللفظ
ودعابة فى التصوير ، ودعابة فى التفسير أيضاً . .

وقد كنت أقرأ منذ أيام قصة « شفاء غليظة » ، وكنت أحب

أن تسميها « الشفاه الغلاظ » ، فوقفت عند تصويرك لشفتي تلك الفتاة ، شفتان غليظتان ، لا تريدان أن تلتقيا كأن بينهما خصاماً ، الشفة العليا لا تريد أن تنحدر أو أن تهبط لتس الشفة السفلى كأن بها كبرياء . . ولكن الشيء الذى استموى بطمك فى هذه القصة ، وملك عليه قلبه ولبه وفؤاده كله ، هو شيء واحد فى إحدى هاتين الشفتين ، تتوء ضئيل جداً فى وسط الشفة لا ينفرج ولا يقيح لهذه الشفة أن تستموى إلا حين تضحك الفتاة أو تبكى أو تأخذها ثورة من ثورات العاطفة . .

هذا التواء اليسير كان مدار قصتك كلها من أولها إلى آخرها شيء يسير جداً فى شفة فتاة من الفتيات ، رآها بحام ففتن بها وهام بها الهيام كله ، وأقام عليها حياة أخص ما توصف به أنها حياة رجل زكى عبثت به فتاة فاستغفلته مرتين أو مرات .

وكذلك أنت فى كثير من قصصك ، أو فى كل قصصك تتخير أو تمتدكشاف شيئاً يسيراً وتجعله مداراً للقصة تعود إليه ، كأنه لحن من هذه الألحان اليسيرة التى يبنى الموسيقى عليها قطعته . .

فأنت تتخذ فى قصصك فكرة أو صورة أو خاطرة تدور عليها قصتك فتستموى وتخلب وتستلب القلوب .

كتبك ليست قليلة ، وأحسبها قد بلغت ثلاثين أو جاوزتها ،

نترجم منها الكثير ، وسيترجم منها أكثر مما ترجم .

ولا أكاد أعتقد أن كاتباً مصرياً مهما يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة كما وصات أنت إليها ، فأنت شديد الانتشار ، ولا تكاد تسكتب السكتاب حتى يتهاافت عليه القارئون في البلاد العربية كلها . .

أتظن بعد هذا أنك لم تتفوق على أسرتك ، ولم تضيف إلى تراثها العظيم ؟ أتظن بعد هذا أنك مدين بمكانتك الأدبية لهذه الأسرة الأدبية النابغة ؟ أليس الحق أنك أخذت عنها كثيراً وأضفت إليها كثيراً ؟ .

ثم أتفهم الآن لما إذا سعى إليك المجمع سعياً رقيقاً كما يسعى إلى شيء ذي خطر لا يسهل الوصول إليه ؟ سعى إليك سعى الحمية فيما يقول « عمر بن أبي ربيعة » ، سعى فقدّر آدابك العربية وأجازها ، ونوّه بها ، ثم استأنى بك لأنه يعرف تواضعك وهذوءك ، ويعرف ما طبعت عليه من حب العزلة والازواء . استأنى بك حتى تسيخ هذا التقدير ، وحتى تطمئن إليه ، استأنى بك سعة أو سنتين ، فلما عرف أنك تلقيت هذه الصدمة وصبرت لها واحتملتها ثم تعزيت عنها ، فسافرت وأقت وقرأت وأنتجت هجيم هجمته الكبيرى وأخذك على غرّة ، وأشهد ما عرفت أنت ولا أحسست قط بأن المجمع يريد أن يضمك إليه ، وإنما أخذك

المجمع لحياة في ذات يوم في جلسة من الجلسات ائتمر بك صديقان لك هما : د أحمد أمين ، و د طه حسين ، فرشاك للمجمع ؛ ولم يكادا يعرضان ترشيحهما حتى أجمع هذا المجمع على اختيارك . وإذا أنت قد التهمت المجمع التهاما كما التهمتك اللغة العربية الفصحى التهاماً من قبل .

كنت مدافعاً عن اللغة العربية الفصحى بما تكتسب وما تلتج من آثار ، ولا تكاد تزيد على ذلك ، وحسبك بهذا دفاعاً عنها وصيانة لها ، ولكن المجمع يقول لك منذ الآن : ألا تكتفى بالإنتاج الأدبي ، بل تضيف إلى هذا الإنتاج الأدبي مشاركة في هذا العناية المتواضع الذي يشق به المجمع مرة في كل أسبوع ، وعسى أن يشق به أكثر من مرة ، فاصبر نفسك على الصدمة الثانية كما صبرتها على الصدمة الأولى . واطمن إلى أن المجمع لا يملك أن يروك بعد ذلك . فقد انتهى من أمرك .

ولكن لا تظمن يا سيدي . فإن الدنيا لا تشتمل على المجمع وحده ، وإن الذين ينتجون مثل ما تنتج ، ويسيرون في الحياة الأدبية والعقلية مثل ما تسير ، مضطرون إلى أن يصبروا للأحداث ، وأحداث المجد الأدبي خاصة ، وهذه الأحداث ، أظن بل أصدق بأنك تعرف ألقاها ؛ وتعرف كيف تتحمل هذه الأثقال .

تكریم وتقدير

وفي عام ١٩٥٠ كرّمته الدولة؛ فمنحته جائزة الدولة للآداب وأقيم لذلك احتفال في الجامعة في الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٩٥١ قال فيه وزير التربية والتعليم (المعارف آنذاك) :

... أما لجنة الآداب فقد تجمّع لها في هذا العام محصول وفير من إنتاج أدبائنا الممتازين، وقد فحصت اللجنة ما يقرب من الستين أثراً من الآثار الأدبية القيمة، وكان لدى هذه اللجنة جائزة مستبقة من العام الماضي، رأت أن تمنحها إلى جانب جائزة هذا العام . . وأما الجائزة المستبقة من العام الماضي فقد رأت أن تختص بها كاملة أديباً من أدبائنا المجددين هو الأستاذ محمود تيمور، وهو كاتب اشتهر بالتوفر على الإنتاج في ميدان القصص القصير خلال عشرين عاماً أو تزيد، حتى وصل إلى مرتبة رفيعة في الأدب، ومكانة مرموقة بين الكتاب المجددين، وقد رأت اللجنة أن تمنحه الجائزة

كاملة عن كتابيه الأخيرين : « كل عام وأنتم بخير » و « إحسان الله »
وهما أحدث ثمرات هذا الكاتب المجيد ، ويمتازان ببراعة التصوير ،
ودقة الوصف ، وجمال الأسلوب .

* * *

وفي نفس ذلك العام (١٩٥١) قررت هيئة التحكيم في جمعية
(فرنسا - مصر) بباريس برياسة الأستاذ جان ماري كاري ، أن
تمنح جائزة واصف غالي لسنة ١٩٥١ لكتاب « عزرائيل القرية
وقصص أخرى » ، وهو مجموعة من القصص كتبها « محمود تيمور »
وترجمت إلى الفرنسية ونشرت في باريس .

* * *

وفي عيد العلم الذي أقيم في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٦٢
بقصر الحرية بالجزيرة منحت الدولة وسام الاستحقاق من الطبقة
الأولى تكريماً لأدبه ، وتقديراً لفنه .

تيمور المعجني

تطويح .. وافصاح

في عصر الذرة والصواريخ وغزو الفضاء تلفت أبناء الضاد إلى أهمهم ، وهم يخبون في سعيهم نحو التكامل والتسامي ، وتساءلوا : ما موقف اللغة من هاته الحضارة الحديثة بما تحمل من مستحدثات ومبتكرات في كل ميدان ومجال ؟ هل تقصر ألفاظ اللغة وتعجز معاجها عن أن تمد اللسان العربي بكلمات تؤدي هذه المعاني الجديدة ؟ وهل لا مندوحة أمامنا إلا أن نعتهد على المستورد من الألفاظ والمعرب من التراكيب ؟

وتشعبت الآراء . . فاستنم فريق إلى المصطلحات الانجليزية يطعم بها لغتنا ، ولم يعدم حجة يبرر بها استقنامته ، كالتسهيل والشيوع وكثرة الدوران على الألسنة ، وخطأ مشهور خير من صواب مهجور ، وما إلى ذلك من التعلات والتحلات والذرائع

التي يتذرع بها المتذرعون ، وما أكثرها ..

وفريق آخر متمسك بلغته ، محافظة إلى حد التعصب اللغوي ، يرى أن الثروة اللفظية المعجمية واللغوية لا يقصر باعها ولا تهجر روافدها عن أن تمدنا بالدرر الكامنة في أعماقها ، وما علينا إلا أن نزيل ما ران على وجهها من غلالات ترسبت فجيت روامها ، ومنعت عنها الحياة إلى حين .
وكان غواصٌ ماهر . .

تسلح بالأدب والصبر والآناة وطول البحث ، ففاص إلى الأعماق .. وتوغل .. واستخرج الكوامن .. وطوَّع مئات الكلمات العربية السليمة الصحيحة لتقوم مقام الالفاظ المستوردة الدخيلة التي قُدر لها أن تفزوا لغتنا وتعيش بيننا في مشافهاتنا ، وفي محادثاتنا ، بل وفي أدبنا ..

بحث ونقَّص في بطون المعاجم والكتب وفي قصائد المخضرمين والشعراء الذين يحتاج بشعرهم ثم استخلص واقترح .. ووضع دليلاً معجمية ، لألفاظ الحضارة تكون مرجعاً للكتّاب ، ومدداً لأفلام كتّاب العربية يتيسر لهم أن يجدوا فيه بعض حاجتهم - إلى الإفصاح في التسمية والوصف والتعبير .

فأثبت د. تيمور ، أن لغتنا عملاقة لا تطامن هامتها أمام

المختبرات ومصطلحاتها ، وسجّل ما طوعه في معجمه الذي سماه
« معجم الحضارة » ، بعد أن جهر بالدعوة إلى استعمال هاتيك
الألفاظ الفصح ، وتلك الكلمات العربية العروبة الخالصة
النسب إلى يعرب ، ودعا إلى إحيائها في أحاديثنا وقصصنا وأدبنا .

وردد صدى دعوته أبهاء المجمع اللغوي وأرجاء كل مفتدى
أدبي حاضر فيه .

والأستاذ « محمود تيمور » ، نشاط ثقافي وأدبي في الجمهورية
العربية المتحدة ، وفي خارجها ، فقد لبّي دعوة مؤتمر الأدباء
بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٥٦ م محاضراً في الأدب
العربي قديمه وحديثه .

ودعته كذلك جمعية الشابات المسلمات ببيروت في سنة ١٩٥٦ ،
وحاضر خريجي اللّيسيه ببيروت وكذلك جمعية المقاصد الإسلامية
سنة ١٩٥٦ م

واستجاب لدعوة التّكريم التي أقامها له النادي المصري
بدمشق سنة ١٩٥٦ احتفاء به وتقديراً لأدبه .

وكان على رأس وفد مصر لتمثيل الجمهورية العربية المتحدة
في مؤتمر الأدباء الأول « القلم » ، في بيت مرى سنة ٥٩ - ٦٠ .

واختارته الجمهورية العربية المتحدة ليمثل المجمع اللغوى المصرى
فى تأبين المرحوم خليل مردم سنة ١٩٦٠ .

وقد تلقى دعوات رسمية من الهند وباكستان وحكومة الاتحاد
السوفيتى والمجر ، والمغرب العربى أخيراً . ولكن ظروفًا خاصة
اضطرتّه إلى الاعتذار .

هذا وقد عينه المجمع العلمى المجرى منذ أعوام عضواً مراسلاً ،
كما اختاره وعينه المجمع اللغوى العراقى عضواً مراسلاً منذ سنة ١٩٦١ م
وهو أستاذ زائر يحاضر طلاب الجامعات الثلاث والجامعة
الأزهرية .

وكذلك يحاضر طلاب المعاهد العليا المصرية ، والمعهد العالى
للدراسات العربية بالجامعة العربية .

تيمور اللغوى

وقد جال « تيمور » ، فى كل مجال أدبى ؛ فى القصة والمقالة واللغة والمسرح .. بحث واقتراح ورأى ، وكان لرأيه القدر المعلن من حيث الوجاهة والأصالة والتمكن والتعمق ، ولا غرو ؛ فهو أديب والأديب الحق هو من يأخذ من كل فن بطرف ، ومن له فى كل فن إنتاج .

وقد سجل فى كتابه « مشكلات اللغة العربية » ، كثيراً من آرائه الناضجة ، ونظراته الصائبة ، واقتراحاته ودراسته ، وتحدث فى مطلع هذا الكتاب عن الكيفية التى نمد بها للعربية وسائل النحو المطرّد ، واستكمال سلطانها التام ، كما تحدث عن خلودها فقال : « ولما كانت لغة قريش المنزل بها القرآن بلغت حين نزوله أقصى مبلغ من القوة والبيان وفصاحة التعبير ، وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله ، اعتبر ذلك الكتاب أسماً نط

للعربية الفصحى ، وأعلى نموذج للبيان المعجز ، فظل القبله الخالدة
في استلهاهم أنصح الأساليب لنظم الكلام . فإدام القرآن محفوظاً
والإسلام قائماً ، وأمته العربية موفورة فلن يكتب لهذه اللغة الفناء .

وذلك في الحق أعظم الأسباب التي صانت العربية عن الزوال
في الماضي والحاضر ، وسيكون السبب الذي يمدّها بعوامل البقاء
في المستقبل .

كما كشف أيضاً عن رأيه في الألفاظ المولدة والمعربة فقال :

« والقول المفضل فيما يبدو لي أن تتوسط في الأمر ، وأن يكون
موقفنا في مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة وتقدير
للملابسات كل لفظ ومدى الحاجة إليه . فلنشتق ولنستضف
من العامية ، ولنستحي القديم من الألفاظ ، ولنعرب الاعمى
متوخين في كل ذلك الحكمة .

وحرى بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة ، على أن تراعى
سهولة الألفاظ ، وموسيقية الحروف ، وخفة الصيغة على السمع .

وتحدث كذلك عن « الوعي اللغوي » وعن تياره المتجدد المتدفق
في الأوساط العملية والثقافية ، وعن أثره في مرافقنا الاجتماعية
كما تضمن السكتاب رأى « تيمور » في ضبط الكتابة العربية
وشكل حروفها فقال : « وعندي أن الشكل في عصرنا الراهن

ضرورى كل الضرورة ، وما هو فى الواقع إلا حروف ناقصة من الكلمة العربية حقها أن تستوفى كما فى اللغات الأجنبية ، ثم يقول : « فالضبط عامل ذو خطر فى نشر اللغة وتعميمها ، وتشجيع النطق بها ، والاستفادة النامة منها على أننا لا ننكر أن تعميم الشكل فى الحروف مشكلة فنية ، من حيث التطبيق والتحقيق ، .

وبعد أن استعرض المقترحات العديدة المختلفة لهذه المشكلة قال :

« وإنى أرى أن تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة وبذلك يكون الصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنخلص من تلك العيون التى تزيد على ثلاثمائة . وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التى يجرى بها الاستعمال ، وسيرحّب بها الصندوق الذى تخفف مما كان يغصّ به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات فى غير مشقة ولا عسر ، وطوعاً لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من تعميم الضبط بلا عناء .

وأقترح أن تكون الصورة التى تقتصر عليها من صور الحروف هى الصورة التى تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهى التى يسميها أهل فن الطباعة : حروفا « من الأول » على أن تؤثر السكاف المبسوطة ، وتظل حروف : الألف والذال والذال والراء

والزاي والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها في حالة إفرادها .

وأكبر ظني أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضاً ولا يتطلب تهيشة الأذهان للرضا بتغيير طارىء وإقناع الرأي العام بقبول شيء جديد .

ثم تحدث بعد ذلك عن المزايا التي تحققها هذه الطريقة وقال إن أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة التربية والتعليم طبع كتبها التعليمية في مختلف المراحل والمواد وافية الشكل صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهينة الميسورة ، وإن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من متاعب فنية وعقبات مطبعية حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم .

فإذا ألزمت وزارة التربية والتعليم نفسها بهذا الإجراء كان ذلك حافزاً على اتخاذ تلك الطريق في محيط الجمهور .

وسينشأ تبعاً لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات ، هو عامل التأسى واللاقئاء ، عامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة تشبهاً بما تخرج وزارة التربية والتعليم من كتبها في شتى مواد العلوم والفنون والآداب .

ويومئذ يتحقق غرض منشود سعى إليه « بجمع اللغة العربية ،

وابتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغى ؛ ذلك هو تعميم الضبط
في الكتابة العربية على نحو ميسور .

ثم ساق د تيمور ، بعد ذلك مثالا عمليا جعل له عنواناً :

صحيفة المثال

أريد أن أقصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك
أكون لصندوق الحروف المطبعة عيونا لا تتجاوز الثلاث عدا .

ثم تحدث بإفاضة بعد ذلك عن الصراع بين العربية والعامية ،
وعن هؤلاء الذين يبتغوا أمرهم بلبيل ؛ ليقوموا بانقلاب لغوى
حتى تحل العامية محل الفصحى ؛ لأن الفصحى عالية القمة شاحخة ، صعبة
المرتقى عليهم ، نعجزهم عن مرقاتها إذ هم أفزام ، وأتسى للأفزام
أن يصلوا ١١٩

وبفصل د تيمور ، في هذا الصراع والنزاع فيقول : « مهما يكن
من الخلاف - في تقدير العامية بين الأنصار والخصماء فالصراع
بينهما وبين الفصحى واضح المصير ، وليس النعنى على الفصحى
والإفاضة في مشكلاتها إلا برهاناً ساطعاً على أن العامية قد
أفلست في محاولة امتلاكها ناحية التعبير الكتابي في مجال الثقافة
والفكر ، وأن الكياس في يد الفصحى كياس الغلبة والانتصار .
رضيناها لغة حياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية على اختلاف

المناحي والفروع ، وما نعيمنا عليها وإفاضتنا في تبيان مشكلاتها
إلا نزوع عميق إلى إصلاحها ، والنهوض بها والسعى إلى تطويعها
واستدامة حياتها ، حتى توافي مطالب العلوم والفنون والآداب ،
وتلائم حاجات الحياة في العصر الحاضر وتستطيع أن تكون أداة
طبيعة مرنة لا يستعصى اتخاذها على جمهرة الشعب ، لكي تؤدي
لها رسالة التعبير في سهولة ويسر .

كثيرة هي الأسباب التي تمنع الفصحى أن تنفذ ، وتمنع
العامية أن يكون لها في ميدان الكتابة دولة التعبير .

في طبيعة الأسباب هذا القرآن العظيم ، منار الفصحى الذي
يهدى إليها كل من يؤمن بكتاب الله ، بل كل من يؤمن بما فيه من
بيان مكنين ، وهذا المنار هو الذي حفظ الفصحى في مواضع
الحقبة ، على توالي الغير ، وهو الذي يحفظها على مر الزمان
ما بقي في الناس إيمان .

على أن ذلك الحكم « التيموري » لم يكن مطلقاً عاماً يصدق
على كل ألفاظ العامية ويحمل على تعبيراتها ، بل أن الكلمة
العامية التي لها عرق عربي أو تنزع إلى أصل لغوي شديد
« قديم » حتى بها ، يدعو لها ، ويرغب في استعمالها ،
من أجل ذلك يقول :

ولقد تأمرنا على هذه الكلمات العامية كل التآمر ، فكفرنا

بها أشد الكفر ، وتعففنا عنها ما وسعنا أن نتعفف ، وعددنا
اصطناعها في لغة الكتابة تبذلاً في التعبير ، وتزلاً عن
شريف المقال .

فأسأنا إلى أنفسنا بذلك إساءة بالغة ، إذ حجرنا على أقلامنا
أن تجرى بكلمات عامة دائية القطوف ، سهلة المجتنى ، وبعشناها
تسكبد الحيرة والعنت في اصطیاد ما يقابل هاتيك الكلمات من
وادی الفصیح ، مذعنين لما قد يعوز الكلمات الفصيحة من
دلالة مقصودة ، خاسرين ما في الكلمات العامة من دقة في الدلالة
ومن ألفه بين الناس .

ما كان أظلمنا للكلمات العامة المشردة ، تلك التي استنكرنا
أن نقيدها بالكتابة ، ونمد بها لغة التدوين . ومبلغ عذرنا
في إهمالها والاستبدال بها أننا نغلو في إثبات الفصیح ، وأننا
نترفع عن مشابهة العامة فيما يدرج على ألسنتهم من لغة الحديث .

علينا بادی* بدء أن ننفي عن الكلمة وصمة الابتذال ، بحجة
أنها من كلمات العامة ، فإنها إذ تدور على الألسن ، وتتأدى
بها مهمة التخاطب تدل بذلك على أنها سدت حاجة ، وأثبتت
كفاية ، وأصبحت خليقة أن يقام لها وزن واعتبار .

لننظر إلى الكلمات العامة نظرة لا زراية فيها ولا اهتمام ،

وحسبنا منها في أول الأمر وآخره أن تكون بينها وبين العربية
وشيجة ، وأن يكون قد جرى فيها من التصرف مثلاً يجرى
في كلمات النصحى ، .

وأديننا للغوى « تيمور » يدعو إلى التعمق في اللغة ومعرفة
تاريخ الكلمة ، وحياتها ومسراها ، وما اعتراها من نحت أو تغيير
وبذلك نقبِّم اللفظة . ولا نسكت في أن تجرى الكلمة على ألسنة
العوام فنصفها بالعامية ونهجرها ، ونقلها ، وننأى عن استعمالها
في أدبنا ، فهناك العامى الفصيح الذى لا يعرفه إلا الخبراء
المتخصصون - وقليل ما هم - وفي ذلك يقول « محمود تيمور » :

« إن بين العامية والفصحى ستاراً موهوماً ، علينا أن نجلو
غشاوته عن العيون . وليس من خير الفصحى أن تقوم بينها
وبين العامية هذه العزلة الموحشة . فنحن نقتبس من اللغات
الأجنبية كلمات معربة ، وترجم منها تعبيرات لها دلالة خاصة ،
وفاء بحاجات الحياة المصرية ، وإغناء للبيان العربى بالطيب من
ثمرات اللغات . فما أحرانا أن نفتتح الباب على مصراعيه
لكلماتنا العامية تقتحم ميادين الكتابة والتدوين ، وما هذه الكلمات
إلا « مصنوعات وطنية » ، نسجت من خيوط عربية ، وصقلتها
ألسنة عربية ، وأصبحت لنا بها ألفه وأنس ، وهى إذا

داجت الفصحى أكسبتها مزيداً من الدقة والوضوح ، وأفاضت عليها مرونة واستجابة للحياة المتجددة .

لقد جنت على هذه الكلمات تسميتها بالكلمات العامية ، لاختصار استعمالها على ألسنة العوام ، واختصاصها بلغة التخاطب والحديث ، فلمعرف لها حقها في العربية ، ولتجربها أقلام الكرام الكاتبين دون تحرّض ، ولنسمّيها : العامية الفصحى ، .

تيمور والقضايا الأدبية

هناك قضايا أدبية يثيرها بين الفينة والفينة كتآتاب وأدباء
ونقاد لا قلبت أن تشتجر فيها الآراء وتتباين حولها الأحكام ،
ويدلى كلّ بدلوه ، ويظاهر كل فريق أنصار وأتباع وأشباع ،
وغالباً ما تنحرف المناقشات وتنقلب إلى مهاترات ثم تراشق
بسخيّف الاتهامات وسُوقى العبارات .

ود تيمور ، يبلور آراءه ويعرضها بعيداً عن ميدان الجدل
والسفسطة ، والمناقشات البيزنطية ، التي لا يقصد منها إلا إظهار العلم
والتعاليم والتعالى .

فهو يربأ بنفسه أن يزجّ بها في ميدان المهاترات الصحفية ،
وتأبى نفسه السمحة النزّاعة إلى السلام إلا أن يرقب المعركة
عن كُشْب ، ثم فى تؤدة العالم الحكيم ورزانة الخبير الوقور يدلى
برأيه الفصيل ، وحكمه القاطع فى كتاب خاص يفرد لهاتيك

القضايا.. تؤيده الأدلة المنطقية ، والأسانيد التاريخية ، ويزينه لفظ مختار مصقول وعبارة سهلة ممتعة .

كتب قيّمة :

من ذلك القليل كتابه «مشكلات اللغة العربية» ، وكتابه «الأدب الهادف» ، وكتابه «فن القصص ودراسات في القصة والمسرح» ، وهذا الكتاب الأخير مرجع أدبي تاريخي واف عن القصة العربية وتأريخ حياتها وخصائصها ورسالتها . وتبيان للأزمان والازمات التي مرت بها القصة العربية بوجه عام ، والمصرية بوجه خاص .

ثم حديث جامع صادق عن القصة المصرية الحديثة من مولدها إلى أن بلغت سن الرشد ، وتمت لها عناصر النضج والجمال ، والتسامي من نطاق المحلية إلى المجال الإنساني العام .

وقد تناول «تيمور» في مؤلفه هذا القضايا الأدبية الهامة التي أثّرت في محيطنا الأدبي لخلها وعللها ، وحسم فيها برأيه بعد أن أيده بالدليل التاريخي والبرهان المنطقي ، فنحن على هؤلاء الذين زعموا أن الأدب العربي خلو من القصة وقال : «لقد سارعنا إلى الإنكار على الأدب العربي أن فيه قصة» ،

وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها ، وإطارها المرسوم لها ، ورجعنا نتخذها المقياس والميزان ، وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي ، فإذا هو قد خلا منها أويكاد . وشدة ما أخطأنا في هذا الوزن والقياس ، فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به ، وإطار مرسوم له ، وهو يصور نفسية المجتمع العربي وخلالها ، فلا يقصر في التصوير ، وإننا لنشهد فيه ملاحظتنا وسمائنا وضآحة ، وكأننا لم نفقد في مجتمعا العربي - حتى اليوم - ما يكشف عنه ذلك القصص من ملامح وسمات ، على الرغم من تعاقب العصور وتطاول الآماد - وهو في جوهره وثيق الصلة بالوشائج الإنسانية التي هي جوهر القصص الفنى وإن تباينت الصياغة واختلف الإطار ...

الثقافة العربية - على ترادف أحقابها - تزخر بالقصة مختلفة الشكول والألوان ، فالمجرى القصصى في هذه الثقافة موصول لا ينضب له معين . في كل عصر له مظهر ، وفي كل منحنى من مناحى الحياة له مجال ، وفيما نستظهره الآن من بقايا الثقافة العربية شاهد عدل ، وبرهان ساطع ، فما ظنك بما فقدناه - على توالى الغير والأحداث - بما لا نعرف من شأنه إلا أثرأ بعد عين ، في فهرس تسرد ، وأحاديث تروى . فأين مثلاً كتاب « قيد الأرابد » الذى ألفه « البنجديسى » في أربعائة مجلد ؟ وأين

كتاب د العالم ، الذى بدأه صاحبه د أحمد بن أبان ، بالفلك وختمه بالذرة ؟ وأين كتاب د المسعودى ، المسمى د أخبار الزمان ، الذى اختصره مرة بعد مرة فكان المختصر الأخير ما بين أيدينا من كتيبه يحيل فيها على الأصل الشامل الوافى ؛ ليدلنا على ما يحويه من استفادة وتوسع واستيعاب ؟ . . . وأين مكتبة خلفاء الأندلس تلك التى كان فهرسها أربعة وأربعين من المجلدات ١٤ .

كما تحدث أديبنا د تيمور ، عن الملاحم القصصية فى شعرنا العربى ، وأثبت كذلك أن الأدب العربى لم يخل من هذا النوع الذى نسميه د الشعر الملحمى ، ؛ فقد تساءل فى كتابه هذا :

د وما نصيب الشعر العربى من القصص ؟ ،

ثم أجاب عن هذا التساؤل بقوله :

د لقد فرغ نقاد الأدب ومؤرخوه من الجواب عن هذا التساؤل بأن الشاعرية العربية لم تثمر القصة ولا الملحمة . وهم لم يختلفوا إلا فى تعليل هذه الظاهرة فذهبوا فى ذلك مذاهب شتى .

والحق الذى يجب أن نظهر فى تأييده والاحتجاج له ، أن الأدب العربى لم يخل من هذا النوع الذى نسميه د الشعر الملحمى . وإن كان الشبه غير قريب بئنه وبين ملحمة د يونان ، ، فى شعر العرب أوصل الملاحم وأجزاؤها وعناصرها ، بيد

أنها لم تجتمع في نسق واحد ، ولم تلتق على وحدة جامعة .

وقد انتبه لذلك علم من أعلام النقاد العرب في القرن السابع الهجري ، ذلك هو « ابن الأثير » الأديب ، إذ يقول . « إذا أراد الشاعر العربي أن يشرح أموراً متعددة ، ذوات معان مختلفة في شعره واحتاج إلى الإطالة ، فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه ، بل يجيد في جزء قليل ، وعلى ذلك فإنني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة . فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً من أوله إلى آخره شعراً ، وهو شرح قصص وأحوال ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها .. »

ونحن نقرأ الشعر الذي يتردد فيما بين أيدينا عن أيام العرب ، ونقرأ المقطوعات التي تتخلل شعر « الأعشى » في التحدث عن القرون الخالية وسير الملوك الأولين ، وما نظمه من حادثة (السموم) في أبياته الرائية ، ونقرأ كذلك قصيدة « لقيط ابن يعمر » العينية ، ومعلقة « عمرو بن كلثوم » النونية ، وقصيدة « الحطيئة » الميمية في تصوير الضيافة العربية ، وما يجري في ألوان الشعر الخجاسي من حكاية الأحداث والأحوال ، وتصويره لمعترك الفرائز والنزعات منذ فجر الأدب العربي إلى عصر « المتنبي » بل العصور التالية ، فتسفر لنا ملامح وسمات من الملحمة لا يعوزها إلا لم الشمات ، وربط الأجزاء ، وتنسيق البنيان . . .

ثم تناول د تيمور ، في هذا السفر القيم قضية الفن ، وهل
الفن للفن أو الفن للجمهور فعرضها في إيجاز وتركيز ، ثم توجهاً
برأيه الصائب وحكمه العدل ؛ قال :

« وقد نارت بين أدباء القصة بحاجة الخلاف حول هذه
الدعوة ، وانقسموا فريقين : فريقاً يجار بأن د الفن للفن ، ؛
فحال أن يذعن للتقاليد والأوضاع ، أيّاً كان مصدرها ، عابرة
كانت أو مستقرة ، . ومحال أن يخضع لمطالب توهم له وتفرض
عليه ، مهما يكن من شرف هذه المطالب وصلتها بالحياة الاجتماعية .

وفريقاً يجهر بأن د الفن للجمهور ، ، فمن حق المجتمع عليه
أن يحدّد كما يحدّد سائر القوى الحيوية في سبيل الصالح القومي
ولوجهة الخير العام . . ومن واجب الفن أن يسهم بنصيبه
في علاج أدواء المجتمع وإمداده بوسائل النهوض والمضي
إلى الأمام .

وعندى أن كلا الفريقين يفصل بين الفن والمجتمع فصلاً
واضحاً العلام ، فيشير نزاعاً ليس له في حقيقة الأمر من ثمر ؛
ذلك لأن الفن الأصلي هو غرس البيئة ونبت الحياة . . أعنى أنه
وليد المجتمع : قلبه الخفّاق ، روحه الوامضة ، إحساسه المتوهج ؛
انتفاضته الشاعرة ، فيه تتجمع أخنى الحوارج لهذا المجتمع ،

بما يحويه من آمال وآلام .. فالفنان إن أخلص لفنه ، واستصفي شعوره استجاب حتماً لما يحيط به من مختلف البواعث والمؤثرات ، فيصدق تعبيره عن البيئة والمجتمع في الصورة التي تسخو بها موهبته ، غير محدودة حريته ، أو مسلوطة طلاقته . وغير مكره ولا ملزم بتقاليد وأوضاع يعمل وراء أسوارها في عبودية واعتقال ..

وإن فناناً يتكامل فيه الإخلاص والصدق والقدرة ؛ لهو فن يجد فيه المجتمع أحسن ما ينبغي من غذاء وشفاء .

وأما إذا أقحم الكاتب فنه لإقحاماً للإشادة بفكرة ، أو التغني بدعوة ؛ مسوقاً إلى ذلك بغرض من الأغراض ، أو مخدوعاً بتوجيه من التوجيهات ، دون أن يستجيب شعوره استجابة حقة لتلك الفكرة أو الدعوة التي يتخذها محوراً للإشادة والتغني ، فإن فنه في هذه الحالة يخونه لا محالة ، وإنه ليمتنح عن أباطيل لا يخفى تلفيقها على الناقد البصير .

والمجتمع لا تقوم دعائمه ولا تبقى إلا إذا كانت لبناتها مصنوعة من خداع وزور ١١.

فالفن للفن ، والفن للمجتمع ، يترادفان مادام الفنان صادق الوعي صحيح الإلهام .. ،

ثم تطرق الكتاب إلى الحديث عن قضية الفن والجمهور ،

هل تنزل بالفن إلى مستوى الجمهور ؟ أو نقسمى بالجمهور إلى ذروة الفن ؟ . قضية يتجاذب النقاد طرفيها بين حين وحين ، وكلما سكنت نائرة التحاور بينهم في شأنها ، عادت كما كانت ، أو أشد مما كانت لأدنى مناسبة تعرض . ومضى سكنت بين طائفة من النقاد استأنفها نقاد آخرون ، في قابل من الزمن قريب أو بعيد ... لهذه القضية توأم أو شبيه ، وما برحت تلك القضية الأخرى مشار النزاع بين الباحثين والكتّاب ، يجادلون في أمرها ، لا ترتفع لهم خصومة ، ولا ينتضى جدال . أعنى : قضية اللغة . . هل تنزل بالفصحى إلى اللغة العامية التى يجرى بها التخاطب : لغة الجمهور ؟ . . أو نقسمى بالجمهور إلى الفصحى التى تجرى بها الألفلام : لغة الخاصة ولسان الثقافة ؟ . . ويسدو أن مثل هذا الخلاف يقوم فى كل شأن من شئون الحياة ، وعلى وجه أخص فى عهدنا الجديد ، ذلك الدهد الذى تتناصر فيه الجهود لإنصاف الجمهور وإنيانه حقه ، ورفع الغبن عنه ، وتوفير الكرامة له ، وأريد بالجمهور جملة الشعب فى أوسع نطاق .

أما فيما يتعلق باللغة ، فإنى أرى أن الفصحى والعامية تلتقيان على الطريق فى نحو من التصالح والموازرة ؛ الفصحى تطوَّع قواعدها وأساليبها ؛ لى تلبى مطالب الحياة ، ولـى لا يستعصى على الجمهور أن يتخذها له أداة تعبير . والجمهور بجانب ذلك

يشيع فيه التعليم ، ويزود بالقراءة والاطلاع ، فيصدف عن
العامية ، ويأنس بالفصحى . وإذن يتضاءل سلطان العامية عليه
بقدر ما تملك الفصحى منه ناصية البيان .

وأما في الفن ، فأهم ما يجب التنبيه له ، أن النزول بالفن إلى
الجمهور لا يعنى الإسفاف والابتذال ، وأن التسامى بالجمهور إلى
الفن لا يعنى التكلف والافتعال .

الأول تختلف بالفن لا يرضاه الطموح . .

والآخر عبث ، لا جدوى فيه ، ولا غناء . .

لو تدبرنا قضية الفن والجمهور : أيهما ينزل إلى الآخر ؟ . .
لأدركنا أن الأمرين لا يتعارضان ، متى هدفنا إلى تزكية الفن
ونفع الجمهور معاً ، على درجة سواء . .

كذلك سجل أدينا « تيمور » في هذا الكتاب حكمه في قضية
« الفن للحياة » فقال : « لقد دارت بين طائفة من الكتاب
مساجلات حول الأدب . هل هو تعبير عن النفس في محيطها
الخاص ؟ أو هو تعبير عن الحياة في محيطها العام ؟ . . وعندى
أن القول بأن الأدب تعبير عن الحياة قول كله حق وصدق .
وما أولاه بأن يرتفع عن مدار الجدال والنزاع . . ما قيمة
الأدب إذا لم يكن تعبيراً فنيّاً - بالقول أو بالكتابة - عن
الحياة في أوسع معانيها ؟ . . إذا قال قائل بأن ثمة أدباء

يعتبرون عن أنفسهم كان في قوله غلو وإسراف . . فالأديب الفنان يستلهم من الحياة فنه ، ثم يعتبر عن إلهامه بصيغته الخاصة وطابعه المتميز . وكلما كان الأديب أعمق تغلغلا في صميم الحياة وأصدق تعبيراً عن الإلهام كان عمله أقوم وأثمن وأخلد . .

والأدب في ظاهره غاية ، وفي جوهره وسيلة . هو غاية ؛ لأن الأديب الفنان في أغاب حياته يعتبر عن حياة تعالج في نفسه ، لا يملك إلا أن يعبر عنها في صراحة وخلوص فالأدب تصوير لاتنقاضه نفس الأديب أثناء استجابته للحياة من حوله ، وأنت فقد يسرك شيء فتضحك ، ويحزنك شيء فتبكي ، وما تعبر الأديب إلا لون أصيل من ضحكة الطروب أو بكاء الحزين . .

من هذه الوجهة يمكن أن نعد الأدب غاية . . ولكن الأديب يسمو أبدأ بمشاعره إلى خير الإنسانية ، حين يعمر قلبه الحب الشامل ، وتمتلئ نفسه بفتنة الجمال المطلق ، فهو إذن يرى - واعياً أو غير واع - إلى أهداف معينة ، وطوعاً لهذا يكون الأدب وسيلة لإصابة تلك الأهداف على وجه عام ، وهي التمسك بالحياة وبالإنسانية إلى أفق أعم خيراً ، وأكرم مثلاً .

على أنه قد يكون الأدب - من زارية خاصة - وسيلة ظاهرة لخدمة قضية من قضايا المجتمع ، أو لعلاج مشكلة من مشكلاته

وذلك في بلد مخصوص وفي زمن محدود . وهنا يتوقف النجاح في العمل الفني على مدى استجابة الأديب لهذه المشكلة أو تلك القضية ، ومبلغ ماله من صدق التأثر وقوة الأداء ومتى استطاع الأديب أن يحيا في صميم القضية الاجتماعية أو المشكلة القومية ، تيسر عليه أن يعبر عنها تعبيراً فنياً أصيلاً ، يدمج أعراق البشرية ، ويمزج حقائق الحياة .

حتم إذن أن يتوافر بين الأديب وموضوعه تلاؤم وائتلاف في جو من الحرية الطليقة ، لا فرض فيه على الأديب ولا إلزام .

فكون الأدب غاية ، وكون الأدب وسيلة : قولان يترادفان ما دام الأديب موفور الموهبة ، عميق الحس ، صادق الإلهام .

وبين صفحات ذلك الكتاب الذي تجاوزت صفحاته الثلاثمائة صفحة حديث مستفيض عن القصص الفني ، الذي يتغلغل فيما وراء الوعي ، وعن القصص الفنان وشخصيته ورسالته ، وعن مولد القصة الفنية في الأدب العربي ، وسر تسميتها بهذه اللفظة ، وعرض مسهب لألوان الفن القصصي من أقصوصة ، وقصة ، ورواية ، وحكاية ، ثم تحدثت عن أصول كتابة القصة ، وركائزها وعناصرها الرئيسية من حيث الموضوع والشخصيات والحوار ، وعن عوامل النجاح في نشأة القصص الفني ، وعن أثر الصق في تربية الشعب .

وكان من الطبيعي أن يتعرض « نيمور » للجانب المقابل
جانب القصص غير الفني الذي يتجافى عن الصدق والواقع ، وخلص
بعد ذلك كله إلى إسداء النصح - نصح القصاص الخبير المجرب
المختصرم للناطقة من القصاص .

وأخيراً أفرد نهاية الكتاب للحديث عن الموسيقى باعتبارها
لونهاً من ألوان التصوف الفني ، وعن الفن بين المسرح والسينما ،
وعن لغة المسرح وكتابة القصة المسرحية .

وقد تخيرنا من قصص « نيمور » القصيرة ، قصة « إنسان » ؛
لتكون نموذجاً لفنّه في القصة القصيرة ، وهي من كتابه
« تمرحنا عجب » .

انسان

في غرفة على سطح مبنى متواضع ، يحيا الرجل ، وحيداً
لا يزور ولا يزار .

لقد أصيب منذ أعوام بمرض في ساقه ، أقعده عن الحركة ،
وأحاله كتلة صماء لا تفعل لها في الحياة .

بدأ المرض هيناً ، فاتخذ الرجل ، العصا يتوكأ عليها
في السير . ولما اشتدت به العلة استبدل بالعصا عكازتين تحملانه
عن يمين وشمال ، وسامت حاله من بعد ، فطرح العكازتين جانباً ،
وقنع مضطراً بحياة المُقعد ، يزحف على الأرض إذا ألحت عليه
الحاجة أن ينتقل من مكان إلى مكان .

إنه يقضى يومه الأطول في ركنه المهجور . يصفى إلى جلبة
الحياة حواليه ، فكأنه يصفى إلى أصوات من عالم بعيد ،
من عالم غريب عن عالمه . . .

إنه ليرهف السمع ، ليتصيد هذه الأصوات الملائى بفورة الحياة
وبهجتها ، فسرعان ما تبدو على شخصته المتقلصة الكمداء. علائم
السخط والاستياء .

إنه ينفّس على الناس ما يستمتعون به من قوة ونشطة ومراح ،
ويشعر نحوهم بمحمد مرير ، ولا يملك فيما بينه وبين نفسه
إلا أن ينحى عليهم بالسبّاب جزافاً فى عنف كره .

لم يعد يقربه أحد ، فغدا كالمقرب الثائرة ، تدور فى جحرها
ولا تفقأ تدور ، شائلة ذنبها ، تصوّب ضرباتها اللاسعة
إلى ظهرها ، فتزداد من ثورة وهياج .

كان « الرجل » ينفق على مطعمه الغثّ من مال قليل مدّخر ،
وهو موشك أن ينفسد ، فإذا حان اليوم الذى لا يجد فيه
« الرجل » ما ينفقه ، فإنه معتزم فى وليجة نفسه أن يحكم إغلاق
بابه عليه ، ويتمدد على الأرض ، ليستقبل الموت فى استسلام ..

* * *

وهلّ صباح جديد ، فنهض « الرجل » يجمع عابس الوجه :
يوم آخر ، على أن أحتمله . . .

إنه يوم يضيفه إلى أيامه السالفة . وإنه ليوم مديد مستوم

يقضيه في شبه غفوة بالهاء ، تضطرب فيها المراثيات أمام
عينيه في لؤثة وخبال .

وفيما هو مسترسل في غفوته ، إذ تنأهى إلى سماعه صوت
موسيقى يصدح في الطريق ، تسايه أناشيد وهتافات يعلو بها
مضخّم الصوت ، تتبين فيها ألفاظ عن « الشباب ، و يوم
الشباب ، . . .

وأحس « الرجل ، باعثاً من فضول يدفعه أن يتحلل عن
الحجرة ، فزحف خارجاً إلى السطح يستوضح الأمر ،
أو بالأحرى ليطرح عن نفسه ما هو مخبئ عليها من وحشة وملال .

وألقي ببصره إلى الطريق ، فأخذت عينه موكباً حافلاً بطوائف
الشباب ، يُنشدون الأهازيج في تحمس ، وهم يحملون بين أيديهم
الصناديق يتلقون فيها من الأريجيين التبرعات .

« إنه يوم الشباب !

القرش الذى تقدمه للشباب ، هو لحماية الشباب ، هو لنفع
الشباب ، هو لرفعة الشباب .

وما شباب اليوم إلا رجال المستقبل ، أولئك الذين على
أكتافهم يتسامق بجد الأمة ،

ورمق « الرجل » ، الجوع ، وهو يغمغم :

الشباب . . . الشباب . . . ماذا يهمنى من الشباب ؟ . . .

بل ماذا يهمنى من الناس أجمعين ؟ . . . ماذا لقيت منهم
إلا الجحود والزراية والامتهان ؟ . . . فان يلقوا منى إلا الجحود
والزراية والامتهان ! !

وأراد أن يزحف عائداً إلى وكره ، ولكن ضوء الشمس
كان يتألق رائئاً بهيجاً ، والنسيم يهب رخياً ندياً ، فطاب له
أن يترى هنية ، وألقى نفسه يتوخى جداراً يستند إليه ظهره
ويشفي ظله ، وراح يسرح بصره فى الفضاء . ونشيد الشباب
لا يزال يرتجع أصداءه الفضاء . فاستشعر « الرجل » ، على الرغم
منه انتفاضة سرت فى أوصاله . . . وما أسرع أن حملته
الذكرى إلى أيام شبابه الغابر : وجه مطهَّم متألق ، وعود
صلب سوى ، وساقان شديدتا الأسر ، وفوق هذا كله مرح
غامر يفيض به قلبه الفقى . ونظرة تفاؤل واعتداد واهتزاز يلقها
على الحياة حواله . . .

وتزابت أصوات الموسيقى والأناشيد ، وشمل المكان صمت
عميق ، ولكن بصر المقعد لم يبارح الأفق البعيد ، يتصفح
فيه الذكريات العذاب . .

وظل على حاله بعض وقت . . .

وما هي إلا أن لاحت في السماء غمامة بيضاء كانت تسبح
في الفضاء مترفة كأنها حسناء تنساب بين الأمواج . .
واسترعت الغمامة انتباه « الرجل » ، فأنثى يرقبها . .

أغمامة هي حقاً من غمام السماء ؟ . .

إن الغمام لا تسير متهادية رشيقة على هذا النحو الآخاذ .
وأحد « الرجل » من بصره يتفحص ويتكشّف . فاستبان له
أن ما حسبه غمامة ليس إلا سرباً من حائم رائحة غادية ،
صاعدة هابطة ، يزدان بها الفضاء في تآلف عجيب .

وراق المشهد للرجل ، فلا منه ناظره ، ولبت يتبع
في فضول وتشوّف جولات السرب وهو يطوف في السماء . . .
وراعته تلك الدوائر المتناسقة التي كان يرسمها وهو يطير .
وأذهله ذلك الترابط الذي يجمع بين حائمه ، فيجعل منها وحدة
متناسكة لا يعتمورها انفصام .

وظلّ السرب يطير ولا يفتأ يطير ، وكان كلما أتم دورة
بدأ دورة أخرى من جديد .

أعليه أن يتم عدداً من الدورات كاملاً ؟ . . .

أهو فرض عليه واجب الأداء ؟ .

إن لكل كائن في هذا العالم الفسيح دورات يؤديها
في طوع واختيار .

الشمس لها دورتها :

والقمر له دورته .

والأرض بما تحمله من بشر وجماد ، تتم دوراتها في تناسق
وانتظام وإحكام .

والإناسي . . لكل فرد منهم دورة عليه أن يؤديها في الحياة .

نعم لكل كائن دورته ، عظيماً كان أو ضئيلاً ، كبيراً
أو تافهاً ، حيواناً يذب أو حشرة ساربة ، أو جرثومة يخطئها البصر .

لكل دورته ، ومن مجموع هذه الدورات ، متوافقة ، مترابطة
تتألف الدورة الكبرى لهذا الكون العريض . .

وتخايل أمام الرجل ، موكب الشباب .

أليس هو مجموعة يؤلف بين أفرادها سعى واحد إلى غاية
واحدة ؟

أليس هو « سرباً » آخر من حرائم آدمية تقوم بدورها
في الحياة ؟ .

إنه سرب من مئات الأسراب ، بل من آلافها التي تحفل
بها دنيانا هذه ، ولكل سرب وظيفته وعمله .

أطرق « الرجل » يناجى نفسه :

وهو ؟ أين سربه ؟ .. وأين مكانه من هذا السرب ؟ ...

وسرت في أوصاله اختلاجة حسرة واغتمام .

وأحسّ مرارة الوحشة والعزلة . . .

واضطرب قلبه بشعور غامض ، هو لون من الحنين إلى شيء

مجهول . . . شيء يبدو بعيداً سبب المنال . . .

وكان سرب الحائم لا يزال يطوّف في الأفاق يكمل دوراته ،

ولأنه ليرتفع في السماء موعلاً فيها حتى ليبدو كأنه نقطة يكاد

يفيئبها الفضاء في جوفه ، ثم يهبط في تطوافه ، حتى ليتمدّان من

السطح ، حيث يقبع « الرجل » فيجوز به في سباحة مدوّية

كأنها هبة ريح دفعت بها قوة سحرية لا تراها العيون . . .

وكان « الرجل » ملقى بجوار الجدار ، يرقب ما يحدث في شغف

ونطـالـع . .

وألقي فرخاً من الحائم قد انفصل عن السرب ، وتهاوى على

السطح يترنح . . .

لأنه غير بعيد منه ، يرف بجناحيه ، ويعالج أن ينهض ،

فلا يكاد يعلو قليلاً حتى يتساقط على الأرض . . . ولم يلبث

أن ارتدى فاقد الحراك . . .

وعجل الرجل ، يزحف نحوه ، ومدّ يده إليه ، وطفق يقلّبه ،
وأحس بقلب الطائر ينبض ، فوجد في نفسه لذلك هزة ارتياح ،
إن هي إلا إغماءة من فرط الإجهاد في الطيران . . .

وما أسرع أن نقل الفرخ إلى مكان ظليل . . .

وغاب الرجل هنيهة ، ثم لاح وفي يده وعاء ماء وفتات خبز .
ومال على الطائر يحاول أن يطعمه ويسقيه . وأفلح في سعيه ،
فمنض الفرخ متعاملاً على نفسه يحتسى من الوعاء ويهضم من الفتات .
ثم استطاع بعد لآي أن يقيم صلبه ، وأن يقفز في جهده . . .
وعاد إلى الوعاء ينال منه حسوات ، وإلى الفتات يصيب منه
قضمات . . . وانصرف يعالج أن يرف بجناحيه ويعلو . .

وظل الأمر على هذه الحال وقتاً ، و الرجل ، يراه
في اهتمام . وما هي إلا أن أحس هبة الريح تجوز به . وكانت
شديدة الدنو منه . لكان أجنتها توشك أن تلامس وجهه
وأنها لتترفق في سحبتها متطلعة إلى السطح ، تستخبره في أمر
فرخها الضائع .

وأصاب «الفرخ» هيجة عارمة ، فاشتد به التواذب
والرقيق ، وهو يصر ويصيح ، كأنما يناشد السرب أن يترث
حتى يلحق به . . .

وانقضت فترة ساد السطح فيها سكون ، وكان الطائر يتطلع
في توفئز ونأهش ، على حين ظل الرجل ، يرقب في تيقظ وتشوف ..
وما أن عاد السرب يجوز بالمكان مرة أخرى ، حتى سما
الفرخ لاحقاً به ، متعلقاً بأهدابه ، وسرعان ما اندمج فيه ،
وانتظم في وحدته . . .

وشهد الرجل ، السرب يكمل دورته في السماء ، ثم اتخذ سبيلاً
آخر ، سرعان ما اختفى فيه ، وأحس الرجل ، بالغبطة تشيع
بين جوائبه . . .

هي غبطة لم يستشعرها منذ أعوام . .
لقد استطاع أن يعيد الحياة إلى فرخ أشقى على الهلاك ، وأن
يعينه على العودة إلى أهله وعشيرته . . .

وفي هذه الانثناء طرقت سمعه أنغام الموسيقى ، تسايها
الأناشيد ، وتعالى من حولها الهتافات ، لقد عادت جموع
الشباب تحيي « يوم الشباب » .
وأقبل الرجل ، ينظر إلى الجموع ويتسمع إلى الموسيقى
والأهازيج :

« لأنه يوم الشباب . . .
القرش الذي تقدمه للشباب ، هو لحماية الشباب ، لنفع الشباب ،
لرفعة الشباب . . .

وما شباب اليوم إلا رجال المستقبل ، أولئك الذين على أكتافهم
يتسامق مجد الوطن . . .

وأحسنّ د الرجل ، برجة تزلزل كيانه . . .

ثمة شعور جديد يسرى في أعطافه . . .

فرحة شاملة ، ومرح غامر . . .

إن شبابه ليمتد إليه جيّتا في صورة موكب الشباب . . .

أليس هو إنساناً كباقي الاناسيّ ، جديراً أن يستمتع بالحياة ،
ويؤدى فيها واجبه المحتوم ؟

ورمق عكازتيه المهجورتين ، وقد عششت فيهما خيوط
العناكب . .

ومضى إليهما يزحف . .

وعالج في جهد مضن أن ينهض بهما . .

وأخيراً أفلح في وضعهما تحت إبطيه . . . وخطا كطفل
يعالج المشى . .

وما هي إلا أن ألف السير ، فراح ينزل الدرج قاصدا
الباب . .

ووافقه في خروجه د موكب الشباب ، مارّاً في حشوده المتدفقة ،
فما أسرع أن اقتحم الموكب ، وما لبث أن اندمج فيه .

وأخرج من جيبه صرة صغيرة ، تحوى آخر ما يملكه من
نقود وأفرغها فى صندوق التبرعات .

لن يوصل باب حجرتة عليه ، ويستقبل الموت ، فى
قنوط . . .

سيمعمل . . .

لم يعد ذلك الحامل المقعد الذى لا يرجى له نفع . . .

إنه يستمد قوته من حوله . . .

ها هو ذا فرخ آخر كان مشفياً على الهلاك ، فانبعثت فيه الحياة
من جديد . . .

ونعالى صوت الرجل ، مع الهاتفين والمنشدين . . .

لقد أحسن الساعة أنه من البشر .

وأنه حقاً : إنسان . .

مسرحية «صقر قریش»

عرض وتحليل

من الخير أن نختم هذه الدراسة ، بكلمة
الأستاذ زكى طلبات ، عن مسرحية «صقر قریش» ،
لأستاذ «محمود تيمور» ، التى مثلت فى تونس
والكويت بنجاح ، يبين فيها الاتجاهات الفنية
للمؤلف فى معالجة المسرحيات التاريخية .

«عبد الرحمن الداخل» ، بين أبطال التاريخ ، يأخذ مكانه
فى الصف الأول بين الذين اصطفاهم الأقدار ليدفعوا بركب
الحضارة الإنسانية إلى آفاق جديدة . . .

هو أعظم شأنًا من قائد حرب ، ومؤسس دولة ، وسياسى
وفقيه ومشرّع . . . لأنه صَنَعَ تاريخ .

و د عبد الرحمن ، ، بين البشر ، يؤلف شخصية تنفرد بما
اجتمع فيها من أخلاط عجيبة ، وصفات متناقضة . . .

لأنه لغز . . .

اللغز يشير الفضول ويبعث على التأمل . . . ولا يكشف
اللغز عن كل ما فيه ا

تؤلف سيرة عبد الرحمن الأموى الملقب د بصقر قريش ،
ملحمة ليس لها ضريب في التاريخ العربى ، ملحمة مجيدة ؛ إذ تشيد
بجهاد رجل فى سبيل لإنشاء دولة ، ثم هى ملحمة تبعث على
التأمل والعجب ، إذ منها تعلق أنشودة الاناشيد تتغنى بالقدر
وسلطانه ، وبأن العناية الإلهية لا تتصرف فى أقدار الناس من
غير حكمة ، وأن الله جل قدره أعلم حيث يضع رسالته ، ويوحى
بإرادته . . .

الشريد المطارد

وما نظن أن التاريخ فى مختلف عصوره قد سم مثيلا لعبد الرحمن ،
فما ناله من الدنيا ، ثم ما أعطاه للدنيا وللأيام ، بعد أن لقي
من الشدائد والمحن ونكران الناس له ، بين كيد العصبية وتنكر
الأهل والأعوان ، وبين قوة التشريد وحرمان الفقر ١١

« عبد الرحمن » ، طريد العباسيين الذين أرسدوا الجوائز لمن يأتي برأسه ، يملّقى كالصقر الشديد المراس من شاطئ الفرات بأرض العراق ليهبط بالأندلس ، فينقذها من تطاحن زعمائها ويوحّد شملها ، ويؤلف دولة إسلامية قامت معها أزهر الحضارات العربية وأبعدها أثر في قيام الحضارة بأوروبا .

سلبه العباسيون ، عند أول قيام دولتهم على أيدي « الخراساني » و « أبو جعفر المنصور » ، عرش آبائه ، بنى أمية : وطارده الموت على أيدي عملاء العباسيين ، فضرب في وجه الأرض مجتازا نهر الفرات سباحة ، وسهام جنود بني العباس تنوشه من كل جانب ، واخترق صحراء الشام ، وعبر بمصر وتونس وبطول الشاطئ الإفريقي ، والموت يحوم فوق رأسه أينما نزل . . .

ثم اجتاز المغامر الطريد البحر إلى الأندلس ، وهو لا يحمل أملا بين جنبيه إلا أن ينجو من الموت ليحييا حياة أمن وسلام ، ييسرهما له ما ورثه عن جده الخليفة الأموي « هشام بن عبد الملك » من ضياع في الأندلس .

وفي الشاطئ الإفريقي انحل الوثام ، وكادت تندثر آية الفتح ، وفي الأندلس أمراء يتنازعون السلطان ؛ ففي كل مدينة أمير له راية وله جند وأتباع ، إقطاعيون يتناحرون في سبيل المغنم والجاه ...

ثرف وثزق ، وفوضى وانحلال ، وغدثه معالنه سود ، ينسذر بأن
 الفرنجة بعملون على استرجاع البلاد من أيدي العرب ،
 تروی مصنفات التاريخ هذا في إسهاب وتفصيل ، وتزف
 الشواهد على عظم ما قام به « عبد الرحمن » ، وهو يصنع تاريخ العرب ،
 ويغير من مجراه . . . ثم بصمت التاريخ !
 ولكن . . .

على أى نحو استقام الطبع في « عبد الرحمن » ؟
 وما هى العوامل النفسية الباطنة التى جعلت منه بالآندلس
 (عصامياً) يركب كل حرج وبغامر ؟
 ومن أين نفذ السكاتب « محمود نيمور » ، إلى معالجة شخصية
 « عبد الرحمن » ، لافى عالم التاريخ ، ولكن فى دنيا النفس ، وفى محيط
 الإنسان ؟ ؟

وذلك فى المسرحية التى تحمل اسم « صقر قریش » ، والتى بدأت
 بها « الفرقة القومية التونسية » ، موسمها يوم ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٥
 على « المسرح البلدى » .

هذا التاريخ القاصر !

لا يرقى شك إلى « عظامية » « عبد الرحمن » ، من حيث شرف
 المحتد وكرامة النشأة ؛ فهو سليل « بنى أمية » ، بيت عريق فى الخلافة

الإسلامية ، تحكم في أقدار العروبة والإسلام قرابة قرن من الزمن ،
ورفع راية الإسلام من أرض الصين إلى الأندلس . . .

جاء «عبد الرحمن» ، لأبيه هو الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ،
ويروى التاريخ أن مقاليد الخلافة كانت ستؤول إلى «عبد الرحمن» ،
لأنه ينتزع الموت والده ، ويقصيه عن كرسى الخلافة بعد أن أوصى له
أبوه «هشام» بها . . .

والتاريخ يحدث أن «عبد الرحمن» نشأ في عز ورفاهية عيش ،
محوطاً بعطف جده «هشام» ، الذي كان يؤثره على جميع أحفاده ،
فشبَّ سليم الطبع ، عزيز النفس ، ليصبح مرموق المرموقين من
شباب بنى أمية ، لا يزه في الفروسية فارس ، ولا يعلو عليه صائد
في مطاردة الوحش واقتناص الطير . . .

ومن التاريخ نعلم أن «عبد الرحمن» عرف الزواج المبكر
والأبوة ، ولما يخلف عن طوفه العشرين من سنى حياته . . .
ومن التاريخ نعرف أن «عبد الرحمن» كانت تشوب سلامة
خلقه آفتان : كانت بإحدى عينيه غشاوة كادت تفقدها قوة
الإبصار ، وكان أخشم ، أى أن حاسة الشم فيه لا تميز بين
ما يدخل على أنفه .

ويحكى التاريخ أيضاً حادثة مهمة وقعت ل«عبد الرحمن» وهو

صبي ، يحكى أن «مسلمة بن عبد الملك» ، وكان من المشهورين
بالفراسة واستطلاع الغيوب قد تنبأ «لعبد الرحمن» الصبي ، بأن
الامر سيبتدأ له ، وأن القدر يعدّه ليجرى على يديه أحداثاً
جساماً ترفع من شأن بنى أمية ، وأن هذا التنبؤ كانت له أصداء
تدوّى في أذنه ، وتذكى فيه أملاً بعيداً بمحول الغاية !

هذا ما يرويه التاريخ عن «عبد الرحمن» قبل أن تنزل به وبقومه
الحنة التي قوّضت عرش آبائه ، ودفعت به إلى أن يفرّج بجلده من
جنود العباسيين ، تاركاً العراق ليهيم على وجهه شريداً إلى أقصى
الشمال الإفريقي . . .

ثم يعود التاريخ فيسجّل أن «عبد الرحمن» أقام هناك بتلس
حياة الأمن ، وليس له مطمع في إمارة أو مُلك . . . هذا وهو
لا يحمل بين يديه من عدّة لمواجهة حياة التشريد والمطاردة ، غير
(عظامية) من شرف المحدث ، لم تفده في أن توفر أسباب الأمن ،
ولم تعصمه من تعابس الحظ ، وإدبار الدنيا . . .

وعبر «عبد الرحمن» البحر من مشارف مدينة «سبتة» إلى
الأندلس ، مهبّض الجناح ، لا يئشّد غير حياة هادئة يسرها له
ما تدرّه عليه أملاك سبق أن أورثه إياها جده «هشام» . . .

ولكن سرعان ما تغيّر حال «عبد الرحمن» بالأندلس بعد ذلك !

التاريخ يصمت

نفساً : كيف انقلب « عبد الرحمن ، المسالم القنوع ، مشاغباً
مغواراً ، لا حدة لطموحه ، ولا نهاية لنضاله ؟

كيف تحولت (عظاميته) العريقة إلى (عصامية) وافدة ؟
كيف أخذ يعمل ويغامر ليبنى لنفسه حياة جديدة ، بين المصارحة
والمداورة ، بين السيف والكلم ، ولا يعبأ بالوسيلة في سبيل الغاية ؟ ؟

يقول « عبد الرحمن » : « وجدتني أخوض معارك ، وأنفمس
في ألوان عنيفة من النضال ، لم أفكر فيها من قبل ، ...

ويقول التاريخ : إن الأحداث هي التي تخلق الرجال . . .
ويقول تاريخ التطور الاجتماعي مع فلسفة التاريخ : إن عظماء
الرجال من طراز « عبد الرحمن » إنما يصطفهم الغيب ليتخذهم
معاول لتنفيذ مطالبه . . .

فلعبد الرحمن تفسير . . .

وللتاريخ تفسير . . .

وفلسفة التطور الاجتماعي تفسير . . .

ولكن هذه التفسيرات لا توضح حقيقة الأمر ولا تجلو الغامض !!
السكان الإنساني أولاً . . .

إن «عبد الرحمن» قد قام وعاش وعمل قبل أن يكتب التاريخ سيرة ، فهو الأصل ، وهو القوة الإيجابية . . .

و«عبد الرحمن» إنسان ، والسكان الإنساني فيما يصدر عنه من أعمال إنما يرجع إلى طبيعته الذى استقام عليه ، بين ورائة وبيئة . . . فالطبع أولاً . . . والأعمال أخيراً . . .

إن تلك التفسيرات التى سبق أن ذكرها التاريخ لا تبين عن الاخلاط التى تولّف طبع «عبد الرحمن» أو غيره من عظماء التاريخ ، ولا تكشف عن أغوار التربة التى يسكنون عليها ، وإذا كشف التاريخ عن شيء منها ، فإنه كشف لا يتجاوز ظاهر تلك الاخلاط ، وأديم تلك التربة ١١

التاريخ لا يفسّر العوامل النفسية والبواعث اللاشعورية التى تدفع برجاله إلى أن يأتوا بما يسجله فى صفحاته من أعمالهم ، هذه البواعث الكامنة فى أعماق الوعى الباطن ، والتى تتألف بعوامل الوراثية والبيئة والأحداث ، وهى القوى الخفية والفعالة التى تدفع بالإنسان إلى أن يسلك سلوكاً خاصاً فى حياته . . .

وإذا سكت التاريخ ، فإن الأدب ينبرى ليتكلم ويفسر ، فهمة الأديب فى كتابة القصة والمسرحية التاريخية ، ليسكون فى صميم مهمته ، أو يتمم الناقص ويملأ الغامض ، ويقدم عظماء

التاريخ على حقيقةهم الإنسانية ، بعد أن ينزع عنهم لبوساً
يداريهم . . .

الأدب يحكى

والى القارىء أمثلة مما نذهب إليه :

أشار التاريخ إلى تنبؤ د مسلبة بن عبد الملك ، ولكنه
لم يشر إلى شيء عن أثرها فى واعية د عبد الرحمن ، ثم
فى تكوين شخصيته ، ولم يفسر ماهية المقد النفسية التى لا يستها
منذ الصبا الأول ، ثم ماذا تمخضت عنه حينما رأى د عبد الرحمن ،
كل آماله فى المجد المرتقب تدرى وقد تحطم طموحه على صخور
الحنة الطاحنة التى نزلت به وبقومه . . . حينما أحس أن هذا
التنبؤ لن يتحقق ! !

وتلك الغشاة على إحدى عينيه ، وذلك القصور فى حاسة
الشم ؟ ؟

إن التاريخ لا يتحدث عن شيء من أثرها فى نفسية
د عبد الرحمن ، ولا يروى شيئاً عن شعوره فى هاتين الناحيتين . . .
ثم تلك العظامية ، وقد هبطت من عليائها تحت وقع
الأحداث ، فمسحت أديم الأرض بجبينها . . . أى هزة طاغية
أنزلتها د بعبد الرحمن ، فجعلته ينطوى على نفسه ، ويلم أطراف
ثيابه الممزقة ، ليدارى محاسر جسمه ؟ ؟

ما أغفل التاريخ ذكره في هذا تبدأ مهمة الأدب ، ويتكلم
علم النفس الذى هو العماد الأول فى القصة والمسرحية . . .

أول خيط

من هذه العقدة النفسية التى حفرتها فى وافية «عبد الرحمن»
تنبؤات لم تصدق . . .

ومن تلك «العظامية» التى تداعت أركانها فى قلب
«عبد الرحمن» . . .

ثم من ذلك الشعور بالنقص فى قوة الإبصار وحاسة الشم..
تسلّم المؤلف «محمود تيمور» طرف الخيط الأول ، وأخذ ينسج
منه شخصية «عبد الرحمن» ، صقر قريش . «عبد الرحمن» الإنسان
الذى يتأثر كسائر البشر ، وانبرى يفسّر الدوافع الشعورية
واللاشعورية التى دفعت به إلى أن يأتى من الأعمال ما جعله
أحد حفظة التراث الإنسانى فى الحضارة وتطورها . وقد اتخذ
المؤلف مما سجله التاريخ وسيلة ، وليست غاية . . .

لولا هذه «العقدة النفسية» ، ولولا حسرات مريرة على
«عظامية» ضاعت وعز فُتقد ، ولولا شعور بالنقص فى ناحية
من التكوين الجسمانى - وكل هذا من فعل الغيب الذى يتصرف
فى أقدار الناس على الوجه الذى يريد أن يكونوا عليه - لولا

هذا كله ، لما تنهياً ، لعبد الرحمن ، ذلك الطبع الذى رسم سلوكه أمام المحنة التى نزلت به ، وقدر فعاله للخروج منها .

هذا ما يلوح به ، محمود تيمور ، فى مسرحيته . . . ويحاول تقريره من خلال دلم النفس فى العقل الظاهر وفى الوعى الباطن .

عصامية وعظامية !

لقد اصطلحت لوامع العقدة النفسية مع مرارة ، العظامية ، الذاتية ، اصطلاحنا على ، عبد الرحمن ، فى أن يفتعل الأفاعيل ، وأن يركب الحرج والأهوال لينشئ له عالماً جديداً يقوم فيه توازن بين ما كان عليه ، وبين ما يجب أن يكونه ، توازن يغذى نهم العقدة النفسية ويرضى طموح صاحبها .

ثم أمدّه شعور بالنقص فى بصره ، وفى شمه ، بما يجعله يحسن التفحص ويميل إلى الحذر ؛ لأن الأعور ، ومن على شاكلته ، مجبول على أن يطيل التحديق والتفحص ، ومن لا يميز ما يدخل على أنفه مشدود إلى التحرز والحذر .

وليس من الميسور أن يتحول ، العظامى ، ربيب العز والترفع إلى ، عصامى ، قد يحنى هامته ، وقد يتكلف ما ليس فيه ، وقد يركب من الوسائل لإدراك الغاية ، ما ينكره الخلق النبيل المتسامى .

بل أعسر من هذا ، أن توفّق هذه « العصامية » الطارئة ، إلى بناء مجد تطول قامته على « عظامية » كانت .

ليس هذا ميسوراً إلا لمن أوتي فطرة قوية مثل فطرة « عبد الرحمن » تتفجر فيها ملكات دقاقة من الجلد والصبر ، من الرجاحة والإقدام ، ومن الليونة والحنق في تصيّد الفرص ، وقد اندفعت كل هذه القوى اندفاعاً إيجابياً ، وألهبتها في الوقت نفسه تيارات جاححة من الوعي الباطن ، مأتاها عقدة نفسية وشعور بالنقص .

الوصول إلى الجبار

و « الوصولية » تجري عادة في أثر « العصامية » ، ولكن العصامين ، لا يحسونها ، وإن أحسوا بها ، فإنهم لا يابهون بوسائلها المنحرفة ، على اعتبار أنها مطية إلى قطع مرحلة ، وحذاء لخوض مباداة لا بد من اجتيازها !

وأراد « تيمور » أن يجسّم هذا في سلوك « عبد الرحمن » ، فإذا هو يجعل منه — وذلك في أسلوب من أساليب الوصولية — يجعل منه خلب نساء ، يخلب لب أميرة ذات ثراء ، من أجل أن تبذل مالها في سبيل الدعوة له ، وجمع الانصار حوله !

ظلام النفس

وانتقل المؤلف ، وهو يقدم شخصية بطله ، إلى معالجة نواح أخرى ألقت أضواء جديدة عليه . . .

ما أثر تلك المطاردة والملاحقة اللتين اكتوى بهما «عبد الرحمن» ، طول إقامته بالشمال الإفريقي ؟ ما أثرها في نفسه بعد أن خلص منها واستقرّ له الأمر بالاندلس ، وصار سيدها الفرد مدى ثلاثة وثلاثين عاما ؟

أصبح «عبد الرحمن» يرى في إقبال النساء عليه لونا من المطاردة والملاحقة اللتين يمتعهما كل المقت ، فصار يضيق بكل امرأة تميل إليه وتتشدد وده . . .

ثم هبّ وعيه الباطن يثار لنفسه مما نزل بصاحبه من اضطهاد العباسيين له ومطاردتهم إياه . . . لقد تغرب هو ، وفارق الأهل والوطن ، وأمضّته هذا ، فلماذا لا يكابد غيره مثلما كابد ؟ ؟
وكان مظهر هذا ، أن «عبد الرحمن» عاود هواية الصيد بعد أن تركها تحت تأثير المحنة التي به ، فصار يمعن في مطاردة الوحش ، وكأن بينهما ثارا مفقودا !

ثم تجاوز هذا إلى مطاردة أنصاره وعملائه ، فهو يطوّح بهم كل يوم إلى أقصى البلاد بحجة أنهم ينجزون مهام الدولة ، فإذا احتج

أحدهم غمره بالتقريع الشديد ، بعد أن يضرب الأمثلة بنفسه ،
واشتد «عبد الرحمن» في هذا وفي غيره وبالغ ، فلكل هفوة
عقاب ، ولكل منحرف عذاب ، ولو كان من أخلص خلصائه .
صرامة مآثاها الثأر لنفسه مما لقي من تعذيب الأيام له ، وصرامة
اكتسبها من مرارة النضال ، فكان أن قضى على أنصاره ، وعلى
أعدائه معاً ، وبقي وحيداً مثل العُقاب الذي يعيش في القمم السامقة .
وهكذا كشف «تيمور» عن القوى الباطنة ، التي كانت تستعر
نارها في أعماق «عبد الرحمن» ، ويتكاثف بخارها بضغط وبلح
في الانطلاق ، فإذا «عبد الرحمن» ينطلق بدوره مثلها تنطلق القذيفة
إلى هدفها بدفع البارود !

الحق التاريخي

وفي هذا ، وفي غيره مما ابتدئته قريحة «تيمور» ليقوم شخصية
«عبد الرحمن» ، التقويم الإنساني الذي يخضع لعوامل البيئة ودوافع
النفس ، لم يفرض «تيمور» في إعلام الحق التاريخي في حياة بطله .
والحق التاريخي ، مثل الحقيقة المجردة ، والحكمة المنشودة ،
تتبعه واسع الرحاب ، ولا يحمل بمن في تفكيره وزانة ، وفي نفسه
تواضع ، أن يدعى حيازتها وامتلاك ناصيتها . .
و«عبد الرحمن» الداخل شخصية متعددة النواحي ، متداخلة

الشعاب ، يحار المتأمل سيرتها ، كيف انتظمت فيها كل هذه
الاخلاط : . . خيال الشاعر ، وصرامة الجندي المناضل ، ودهاء
السياسى الذى لا يبالى بالوسيلة فى سبيل الغاية . . . كأن إنسانى عجيب
ينتقل بين المصارحة والمداورة ، بين الرقة والقسوة ، بين التحوى
والوثوب . . . وهو فى كل هذا يتقلب متماسك الأطراف ، كاللحن
العبقرى ، يعلو وينخفض ، ويرتفع نبره ويستقيم ، وهو على هذا
وبهذا يلفت ويغرب ويثير العجب والإعجاب !

كلنا سواء

وأبطال التاريخ ، مهما تساموا بفعالهم ، ليسوا إلا بشرأ يجرى
عليهم ما يجرى على سائر الناس من حيث تأثرهم بالأحداث التى
تشملهم وتلقى فى أصلاهم . . .

وعظماء التاريخ ، مهما تعالوا بصفاتهم ، ليسوا إلا آدميين ، بعرض
لهم ما يعرض لبني جنسهم ، من تزعزع وشك ، ومن ضعف ووهن . . .
هذه الحقيقة يجب أن يعلمها كل الإعلام ، القصصا أو الكاتب
المسرحى حينما يجرى قلبه معالجاً إحدى الشخصيات التاريخية التى
تعتقد فوق رأسها هالات البطولة والعظمة .

إن إخضاع الشخصيات التاريخية المعالجة فى القصة أو المسرحية
لما يصح أن تتأثر به وأن يبدو منها ، وفقاً لتلك الحقيقة وتبعاً لطبيعة

النفس البشرية ، إذ تهتز متأثرة بفعل أثر حدث من الأحداث
الكبيرة . . . هذا الإخضاع يضفي على الشخصية المعالجة مسحة
إنسانية صادقة ، بل إنه ليؤلف حجر الزاوية في تقويمها تقويماً
بشرياً سليماً نحس أنه عكسه في نفوسنا .

وصغار كتب القصة أو المسرحية يؤخذون دائماً بأسباب
البطولة البراقة التي يضيفها التاريخ على الشخصية التي يعالجونها ،
فإذا هم يرسمونها وكأنَّ صاحبها كائن ليس من فصيلة البشر . . .
أى كائن أسطوري ، بعد أن يعلوا بصفاتها على مصاف الآدميين ،
ويعصموها عن مواطن الزرد والتشكك والضعف والخور !

لنهم بهذا يضيفون على هذه الشخصية مسحة من الجود والريف ،
إذا أرضت بطولة التاريخ فإنها لا ترضى الحقيقة الإنسانية .
والتاريخ كما سبق أن أشرنا ، لا يصدق ولا يدق إلا في تسجيل
أعمال أبطاله . ولكنه بعيد عن الصدق وعن الدقة في تقويم
نفوسهم هذا التقويم الذي هو أساس (الصدق الفني) في المسرحية ،
لأن التاريخ منصرف عن هذا إلى سواه .

ضربة أستاذ !

عرف «محمود تيمور» هذا الفارق ، الفارق بين الجود التاريخي

في الكشف عن تفسير النزعات الخفية التي تعتلج في نفوس أبطاله
وتدفعهم إلى العمل ، وبين (الصدق الفني) القائم على حقيقة أن
النفس واحدة في جميع الناس بما تتأثر به ، ثم بما تؤثر فيه .

وآية ما تقدمه في هذا ، موقف «عبد الرحمن» من نفسه ومن
أمله الكبير حينما صودم في أعماق نفسه ، بأن التنبؤ الذي تنبأ
به له «مسلمة بن عبد الملك» لم يتحقق في شيء ، بل إن الأمر
يجرى على عكسه ، بعد أن اصطلحت على «عبد الرحمن»
في الشمال الإفريقي ، وقبل أن يركب البحر إلى الأندلس ،
الآهوال والمحن ، فسلبته كل شيء حتى الأمن على حياته . . .

إن التاريخ لا يزيد في تبين شخصية «عبد الرحمن» من حيث

التفاضل والتشاور ، إلا أن يروى أن «عبد الرحمن» كان مسرفاً

في التطير ، وفي الإيمان بالغيبيات والآوار ، وذلك بتأثير

النبوءة السالفة الذكر ، ولكن التاريخ لا يكشف عن مدارج

هذا الإيمان في تطوره تحت ضربات الكوارث والآهوال ،

ولكن التاريخ لا يتقصى مظاهر التغير التي نزلت بنفس «عبد الرحمن»

بتأثير هذا التطور ١

المـرح يفسـر

ما تجاوز التاريخ عن تبليانه ، أفصح الأدب بعلم النفس عنه .

في مستهل الفصل الأول من هذه المسرحية ترى «عبد الرحمن» ،
على قلم «محمود تيمور» ، وقد تزعزعت عقيدته في القدر ، بعد
أن جحد تنبؤ «مسلمة بن عبد الملك» له ، وذلك تحت تأثير
الأهوال التي تلتأشبه من كل جانب .

تززع «عبد الرحمن» ، وجحد . . . شعور إنساني صادق ،
وحالة نفسية عامة تلابس أيَّ كائن بشري ، بلغ ما بلغ من قوة
الطبع ، حينما يصبح فريسة لمثل تلك الأهوال التي كانت تعصف
«بعبد الرحمن» .

لقد ضعف «عبد الرحمن» ، ولكنه ضعف مكتوب على البشر ،
ولو لم يضعف ، على قلم «محمود تيمور» ، لما استقامت شخصيته ،
في إحدى نواحيها ، على منهاج إنساني سليم !

لقد اختلف الأديب المسرحي مع المؤرخ أمام صفة بارزة
من صفات «عبد الرحمن» . . . ولكنه اختلف في التفاصيل
وليس في الجوهر ، ثم سرعان ما تدارك الأديب موقفه وأصلح
أمره مع التاريخ . . . فإذا نحن نرى ، في الفصل الأول عينه ،
حدثاً تبدعه خيلة الأديب المسرحي «تيمور» ، حدثاً مروّعاً
يهرّ «عبد الرحمن» في أصلاجه ، ويردّه إلى حظيرة الإيمان بالغيب
وبسلطان الأفقار !

بهذه اللغة البارة أعلى مؤلف المسرحية شأن الصدق الفني ،
في حين أنه لم يخل بالحق التاريخي !

وتتمشى نظائر لهذه اللغة البارة في جنبات المسرحية :
« صقر قريش » ، وكلها ترمى إلى تحقيق غرض واحد ، إبراز
« الإنسان ، السكامن وراء » عبد الرحمن الداخل ، بقوته وبضعفه ،
بتشككه وإيمانه ، بمتناقضاته ... بسوانحه ... بيداوته ...
بوقار تفكيره ... وكلها تدور لاجتذاب « عبد الرحمن » من ظل
النارخ إلى ضوء الحقيقة البشرية .

محور آخر

وفي غير هذا المحور أدار « تيمور » مسرحيته على محور آخر
ليقول : إن للجد والمثابرة وللصبر والمصابرة في سبيل تحقيق الغاية -
إن لهذا كله ثمرة وجزاء ، وإن المطالب لا تنال بالتمنى ، وإن المحن
والأهوال إنما هي مقياس القوى الكبيرة السكامنة في الأفراد
والشعوب . وهذا كله من صميم (أدب القوة) لا الخور . وما يجب
أن يقرع أذان شعوب الشرق العربي ، وقد أخذت بأسباب القوة ،
وأيقنت على هدى الأحداث ، ألاّ حقّ ينال من غير قوة تعاضده .

وبقى أن نعالج في هذه المسرحية ناحية أخرى :

إلى أى شيء استجاب د محمود تيمور ، في اختيار موضوع هذه المسرحية ؟ ولماذا اختار شخصية عبد الرحمن الداخل ، محوراً أساسياً ؟ وما هى المؤثرات التى سيطرت على قلبه ، وهو يستشير الماضى ليخاطب الحاضر ؟

الفن لا يحيا بنفسه

لا لتردد فى أن تقرر إن د تيمور ، قد استجاب فى كل هذا إلى عاملين رئيسيين : أولهما ما هو قائم فى الأقطار العربية ، وآخرهما ما يجرى فى مصر . ولا ننسى أن د تيمور ، يعيش فى القاهرة ، وقد عاصر ما قبل الثورة المصرية الأخيرة ثم ، تأثر هو نفسه بهذه الثورة . . .

وبعبارة أخرى : لقد استجاب إلى ما يدور فى نفسه وفى نفوس الناس ، والأدب الحق ، الأدب الحى ، هو ما يعبر عما يشغل أذهان الناس ، ويدق به نبض الأيام .

ونأخذ بأسباب التفسير فنقول .

هذا الشرق الفاتر

إن أقطار الشرق العربى تقف اليوم فى مفترق طريق ، ويحتاج

وعينا بتيارات فائرة ، تهمس تارة ، ونصيح تارة أخرى ، تيارات
مأتاها أن هذا الشرق يعاني أمراض مرحلة انتقال خطيرة ، بعد أن
نضج وعيه ، وتفتحت آماله ، ليأخذ مكانه في ركب الحرية والعزة
والحضارة

ولكن هذا الشرق يعتريه أحيانا تطوُّش وترنخ بين القديم
البالى في أكثر قيمه الاجتماعية ، وبين الحديث الوافد . . . بقيم
جديدة .

فن ناحية : يقطه وتوثب ، ومن ناحية أخرى : خمول وتردد
بتأثير مخلفات عصور الظلام والانحلال التي تعاقبت في غير رنق
عليه . . . ومن المعلوم ألا خلاص من حال طال أمدّها إلى حال
جديدة ، إلا بعد مكابدة وجهد ، وتقديم ونكوص !

وفي مثل مراحل الانتقال هذه ، تجري الحياة على إيقاع غير
منتظم ، ويشوبها تطرف في انطلاق الغرائز ، وإسراف في شهوة
البروز ونباهه الاسم . فللقديم ، وللحديث ، ولما بينهما ، قادة وأنصار
وذيول ، ولكل رأى لا يؤمن إلا به ، أو على الأقل يتظاهر بإيمانه
به ، والجميع يتهاكسون في منازعات وخلافات ، وقد نسوا الأرض
التي يقفون عليها ، مطامع . . . وشهوات في سبيل الجاه والنفوذ
والسيطرة

وبهذا يقوم لون من الإقطاع ، في الأفراد ، وفي الجماعات ، باعتبار أن (الإقطاع) في جوهره استثمار متطرف بالغنائم ، سواء أكانت مغنم معنوية أم مادية .

الإقطاعيون

وفوق هذا ، فإن أكثر الأقطار العربية قد اعتمدت المذهب الديمقراطي في نظام حكوماتها ، أو هي في الطريق إليه ، فالأحزاب السياسية قائمة فيها على أحسن حال ، تتغذى وتسمن من جمل الشعب في أكثريته بمهامة هذه الديمقراطية والمنازعات بين هذه الأحزاب لا تفتر ولا تنتهي .

والأحزاب السياسية إذا أسرفت في إعلاء مصالح أعضائها على الصالح القومي العام

والأحزاب إذا بالغت في سيطرتها على الناس ، وتحولت إلى أصنام لها سدة وعباد وطوائف وحملة مباخر

والأحزاب إذا تجاوزت أغراضها الأولى ، وهي تمحيص الرأي وتبادلته ، وتسخير قواها لصالح الوطن ، أصبحت هي : (الإقطاع) بعينه .

كذلك في الشرق العربي بعض من زعماء تسلبوا بين أيديهم السلطة الواسعة ، مع الهيمنة على إدارة البلاد ، ولكنهم تسلبوا

في الوقت نفسه أكبر زاد من الصلف ، والأناية ، ومرض الاستعظام ،
فهم يعلون ذواتهم فوق كل اعتبار . . .

وهؤلاء بدوهم (مقاطعيون) ولاخرا !

فالمشاهد الصريح ، أن أقطار الشرق العربي لها مواسم تعيش
فيها غارقة في دوامات ملتوية ، وتكابد ألواناً من التطاحن ، وكأن
هذا الشرق لم يسكد يفرغ من نزاعه مع الغاصب والمستعمر إلا
ليفرق في نزاع آخر ، نزاع داخلي تسعر ناره في أحزابه
وبين قاداته !

هذا والغرب ما زال يطمع في أن تكون له سيطرة على الشرق !

الأدب انعكاس للحياة

من هذه الحال في الشرق العربي ، هبط أول استلهاهم على رأس
« تيمور » ، في أن يكتب هذه المسرحية . . . ولو كان من رجال
السياسية أو الصحافة لعالج الأمر على نحو آخر ، ولكنه رجل أدب
ومسرح ، والفن والأدب في أسلوبهما العالي ، فوق تقرير الحال
بلسان حادٍّ أو بصراحة قاسية ، والأديب لا يملك غير التلويح والإشارة
وغير إحياء العظة وإطلاق العبرة . . . فعمد « تيمور » إلى التاريخ
ينشد الإشارة والتلويح والعظة والعبرة ، فاختار من التاريخ صفحات
تكاد معالمها تتفق مع ما هو قائم اليوم — وما أكثر ما يعيد التاريخ

نفسه ، ولكن في لبوس جديد ، فاختر صفحة من تاريخ الأندلس حين تمزقت فيها الوحدة ، وتفرقت الكلمة بين العبيث والتزف وبين تطاحن (الإقطاعيين) من زعمائها في سبيل المغانم الشخصية والمفرود بالسلطان ، هذا والفرنجية يطلشون على البلاد من أعلى جبال البرانس ، ويتدردون الفرصة لينقضوا على العرب . . .
ثم هبط عبد الرحمن الداخل ، أرض الأندلس كالصقر . . .
فحزم الأمر . . .

نحن في حاجة إلى صقر !

أليس في هذه الصفحة ما يقدم لنا العظة البالغة ؟

أليس في هذا ما يذكرنا الواجب ، ويسكب في نفوس القادة والزعماء ما يجب أن يكونوا عليه ويقوموا به ؟

ثم يحى العامل الآخر الذى دفع ديمود تيمور ، إلى صياغة مسرحية (صقر قریش) على الوجه الذى هو عليه .

إن كلمة (الإقطاع) و (الإقطاعيين) منبثة في جنبات المسرحية ، وهى عين الكلمة التى تردد في مصر على كل لسان !

هل يعضد ديمور ، الثورة المصرية على الإقطاع ، وعلى الأحزاب ، وعلى الانتهازية والتجارة باسم الوطن والوطنية ؟
أيريد أن يهمس بأن الشرق العربى لا يستقيم حاله في أقطاره إلا أن يتولى أمورها حاكم عادل مطلق التصرف ؟

فهل ينادى بوحدة العروبة في ظل راية واحدة ؟ ؟

هل يريد أن يقول إن نظام الأحزاب السياسية ، على الحال التي هي عليها ، نفعها أقل من ضررها ، وأن حسناتها توازيها سيئاتها ؟
أو هو يعرض الصورة خائب ، ويترك للشاهد لها أن يستخرج منها ما يستطيع استخراجَه وفقاً لوجهة نظره ؟

أيضاً كان الغرض والقصد من هذه الصورة البليغة ، التي تزدحم فيها ألوان من التأويلات والرؤى واللبحات ، فإن أمراً واحداً لا يرقى إليه تأويل أو شك ، وهو أن « تيمور » قد وفّق التوفيق كله ، في الاستجابة إلى ما يجري في أقطار الشرق العربي ، وجعل من مسرحيته (صقر قریش) أصداً لما يشغل أذهان الناس في هذه الآونة . . . وهذا من الأدب الحىّ وكفى !

وكل فن حىّ من الفنون لا يقصد بذاته ، ولا يحيا بنفسه ، وإنما هو صورة لانعكاس الحياة في الفنان ، بحيث يصبح الفن شركة بين شخصية الفنان ، وبين المجتمع الذى يعيش فيه .

تحية البطل « عبد الرحمن »

أما بعد . . .

فقد يحلو للقارىء أن يتساءل ، بعد أن يشاهد هذه المسرحية ،

وتهزئه بطولة «عبد الرحمن» : أين يرقد جثمان هذا العبقري في شخصيته
وفي سيرته ؟

وأجيب عن هذا التساؤل :

دفن «عبد الرحمن» في مدينة «قرطبة» بقصر «المنية» - بضم
الميم وسكون النون - ولكن هذا القصر قد عفا أثره ودكت
معامله ، بعد أن اغتصب الفرنجة أرض الأندلس من يد العرب
وأطلقوا فيها معارل العبث والتدمير . . .

إن قبر «عبد الرحمن» هو الكون كله ، هو الهواء ، هو
النفوس الكبيرة .

قال الشاعر المصري الكبير «أحمد شوقي» في موشحه الطريف
الذي صاغه على شرف «عبد الرحمن» وبطولته . . . قال في هذا
الصدد :

قصرك «المنية» في قرطبة فيه واروك ولله المصير
صدف خط على جوهرة بيد أن الدهر نباش بصير
لم يدع ظلا لقصر «المنية» وكذا عمر الأمانى قصير

كنت صقراً قرشيّاً علماً ما على الصقر إذا لم يرمس
إن تسل أين قبور العظام فعلى الأفواه أو في الأنفس

وها هي ذى مؤلفات الأديب «محمود تيمور»

١ - بالعربية :

(١) مجموعات قصصية :

(١) كل عام وأنتم بخير :

[مجموعة قصصية نالت جائزة الدولة التقديرية في الأدب
سنة ١٩٥١ من طراز جديد في سبر أغوار النفس البشرية] .

(٢) إحسان لله :

[مجموعة قصصية إنسانية نالت جائزة الدولة في الأدب
سنة ١٩٥١ م]

(٣) مكتوب على الجبين :

[مجموعة قصصية من صميم البيئة القومية]

(٤) شفاه غليظة :

[مجموعة قصصية ذات نقد ساخر للمجتمع]

(٥) شباب وغانيات :

[قصة البيئة المصرية القديمة ، تصوّر تطوّر النفس البشرية
إلى مشاعر طيبة]

(٦) فرعون الصغير :

[مجموعة قصصية تمحو منحى رومانسيا ، وفيها قصص
من الشعر المنشور]

- (٧) أبو الشوارب :
[مجموعة قصصية حديثة تنحو منحى إنسانياً تحليلياً ، تتجاوب
مع البيئة المحلية تتجاوباً نقدياً ساخراً]
- (٨) أبو على الفنان :
[قصة ساخرة عن أديعيا الفن في تحليل أدبي]
- (٩) زامر الحلى :
[مجموعة قصص تحليلية مصرية]
- (١٠) قلب غانية :
[من بواكير الإنتاج القصصى للمؤلف ، تتميز باللون القوي]
- (١١) ناثرون :
[قصة المحاولة الأولى من شباب العصر للتحرر قبيل الثورة]
- (١٢) دنيا جديدة :
[مجموعة تتجه اتجاهها تفاؤلياً في الحياة في منزع عملي]
- (١٣) نبوت الحفير :
[من أروع مجاميع تيمور القصصية ذات لون إنساني
عالمى فيه نزعة فلسفية]
- (١٤) تمرحنا عجب :
[مجموعة قصصية إنسانية ذات نزعة فلسفية]
- (١٥) أنا القاتل :
[مجموعة قصصية ذات لون اجتماعي في ثوب فني محبوك]

(١٦) انتصار الحياة :
[مجموعة تسابير تطوّر الحياة إلى ما هو أحسن]

(ب) قصص مطوّلة :

- (١) كليوباترا في خان الخليلي :
[نقد ساخر للسياسة ومؤتمرات الدول واتجاهاتها]
- (٢) سلوى في مهب الريح :
[رواية قصصية تستقي نراها من صميم البيئة في صراع
نفسى إنسانى]
- (٣) نداء المجهول :
[من أساطير تيمور ، اتخذ لها مسرحا من جبل لبنان ،
وهي خلاصة لفلسفة الحب في اتجاه رومانسى سليم]
- (٤) شمروخ :
[قصة البترول في الشرق الأوسط ، مليئة بالمغامرات في دنيا
السياسية والحب ، ذات أهداف تحريرية]
- (٥) إلى اللقاء أيها الحب :
[قصة الفتاة العصرية في البيئة الجديدة ، وصراعها في التكيف
وسط العصر الحاضر]

(٦) المصاييح الزرق :

(قصة الاحتلال ومولد الوعي القومي للصراع الشعبي ضد
المحتلين .)

(٧) معبود من طين :

(تحت الطبع)

(ج) صور وخواطر :

(١) ملامح وغضون أو د صور وشخصيات ،

(صور لشخصيات لوامع من رجالات الشرق والغرب
في ميادين العلم والآدب والفن)

(٢) النبي الإنسان :

(مجموعة بحوث عن الرسول عليه السلام ، والإسلام ، والمجتمع
في صور اجتماعية)

(٣) شفاء الروح :

(مجموعة مقالات وخواطر ذات مذهب اجتماعي تروبي)

(٤) عطر ودخان :

(مجموعة مقالات اجتماعية نقدية ساخرة)

(د) رحلات :

(١) أبو الهول يطير :

(رحلات تيمور إلى أمريكا وفرنسا وسويسرا في أسلوب

قصصي مبتكر وعرض أخاذ)

(٢) شمس وليل :
[رحلات المؤلف إلى بلاد السويد في أسلوب قصصى
شائق مبتكر]

(٣) جزيرة الجيب :
[رحلة المؤلف إلى إيطاليا وجزيرة كبرى سنة ١٩٥١
ينحو فيها المؤلف نحواً قصصياً شائفاً]

(٥) قصص تمثيلية :

(١) صقر قریش :
[مسرحية عربية عن عبد الرحمن الداخل بالأندلس ، تعطى
صورة واضحة عن الزعامة العربية القوية]

(٢) سهاد أو اللحن التائه :
[مسرحية عربية تنحون نحواً رومانسياً سليماً ، فيها تحليل
للزعات الإنسانية]

(٣) المنقذة :
[مسرحية مصرية عن عهد المماليك ، تبين صراع السكبرياء
تجاه العصامية]

(٤) المنخب رقم ١٣ :
[مسرحية من وحى الحرب ، تصور فعل الغرائز البشرية
وآثارها في سلوك البشر في أخرج الظروف]

(٥) المزيّفون :

[مسرّحية قومية تعالج مشكلات السّياسية معالجة إنسانية صحيحة]

(٦) فداء :

[مسرّحية فرعونية تعرض فلسفة الإصلاح والتّضحية]

(٧) عوالي :

[قصة عربية تصوّر مشاعر الحب الأصيلة في النفس البشريّة]

(٨) أبو شوشة والموكب :

[تحليل لماعطفة الحب في مظاهر مختلفة تحت أضواء البيئة]

(٩) قنابل :

[قصة تمثيلية ساخرة على المجتمع الإنساني وما فيه من رياء ونفاق]

(١٠) حواء الخالدة :

[قصة عنثرة وعبلة في ثوب جديد يكشف عن المنازع
الأصيلة في المرأة]

(١١) اليوم نمر :

[قصة امرئ القيس في ثوب جديد من التحليل النفسي]

(١٢) ابن جلا :

[قصة الحجاج بن يوسف الثقفي في منحنى إنساني
كما تصوّره تيمور]

(١٣) أسطر من إبليس :
[فلسفة الخير والشر ، وصراع غرائز البشر مع المثل العليا]

(١٤) كذب فى كذب :
[مسرحية تتناول تحليل الرياء الإنسانى]

(١٥) طارق بن زياد :
[تحت الطابع]

(و) دراسات لغوية وأدبية :

(١) مشكلات اللغة العربية :
[دفاع عن قضايا اللغة العربية فى أسلوب منهجى قويم]

(٢) دراسات فى القصة والمسرح :
[عرض جديد لفن القصة والمسرح والسينما والإذاعة
فى ثوب فنى عوج معالجة فنية أصيلة]

(٣) الأدب الهادف :
[مجموعة محاضرات فى المذاهب الأدبية قديمها وحديثها]

(٤) مناجيات للكتب والكتّاب :
[مجموعة مقالات يتحدث فيها المؤلف عن الكتب والكتّاب
المحدثين]

(٥) معجم الحضارة :
[معجم حضارى لتطور الكلمة واختيار مسماها الفصيح]

- (٦) الأدب العربى الحديث فى مائة السنة الأخيرة :
- [مجموعة مقالات ومحاضرات فى الأدب العربى الحديث والزاجم الأدبية] .
- (٧) قضايا أدبية :
- [مجموعة بحوث حول قضايا الأدب فى سؤال وجواب ، وقد سمي أخيراً بـ « ظلال مضيئة »] .
- (٨) أنا والمسرح :
- [طرائف وذكريات للؤلف عن طلائع المسرح المصرى تلازم عمر المؤلف فى أسلوب قصصى شائق] .
- (٩) أفانين :
- [إتجاه الفكر العربى ومقومات الشخصية العربية] .

٢ - بالإنجليزية :

قصص من صميم الحياة المصرية .

٣ - بالفرنسية :

- (١) عزرائيل القرية .
- (٢) كل عام وأنتم بخير .
- (٣) غراميات سامى ،
- (٤) شفاه غليظه .

(٥) زهرة المرقص .

(٦) حلم سمارا .

(٧) بنت الشيطان .

(٨) نداء المجهول .

(٩) حياة الأشباح .

٤ - بالألمانية :

(١) مجموعة قصص نشرها المستشرق الألماني الدكتور «ويدمار» .

(٢) مجموعة قصص نشرها الأديب الألماني هر كلر .

(٣) مجموعة نشرتها الآنسة آرئل .

٥ - بالروسية :

(١) ثلاثة مجلدات ضخام نشرتها المستشرقة الروسية السيدة «كلثوم

عودة فاسيليفا ، أستاذة الأدب العربي بجامعة موسكو .

٦ - باليوجوسلافية :

(١) مجموعة قصص « زهرة المرقص » نشرها مكتب الاستعلامات

اليوجوسلافي .

(٢) ومجموعات أخرى تعد للطبع الآن باليوجوسلافية .

٧ - بالهنغارية « المجرية » :

(١) مجموعة نشرها المستشرق المجرى الدكتور الحاج

عبد الكريم جرمافوس .

(٢) مجموعة د عزرائيل القرية ، التي اصدرها بالمجرية المجمع اللغوى الجرى .

٨ — بالإيطالية :

مجموعة قصص نشرها وترجمها المستشرق الإيطالى د جيريلى ، .

٩ — بالعبرية :

مجموعة قصص نشرها المستشرق د م . كاييلوك ، .

١٠ — بالقوقازية :

(١) مجموعات نشرها اتحاد القوقازيين .

(٢) مجموعة نشرت بالجيروزيانية لغة القوقاز الجنوبي فى د تفليس ،

١١ — بالأزبكية :

(١) مجموعة نشرت بالأزبكية بمنطقة الخزر .

(٢) مجموعة أخرى ترجمها ونشرها بالأزبكية الأستاذ

د كميل بش ،

وقد ترجم لاديبنا الكبير د محمود تيمور ، قصص أخرى إلى :

الإسبانية . والصيفية . والاندونيسية .

والأردية . والبنغالية .

كتب عن «محمود تيمور»

(١) رائد القصة العربية « محمود تيمور » :

تأليف نزيه الحكيم

(٢) قصة محمود تيمور :

تأليف أنور الجندي

(٣) الأديب الإنسان :

تأليف صلاح الدين أبو سالم

(٤) « محمود تيمور ، وفن الاقصوصة :

تأليف فخرى حسين الاياري

(٥) أدب « محمود تيمور ، للحقيقة والتاريخ :

تأليف محمود بن الشريف

من كتب : محمود بن الشريف

* عذراء باريس : قصّة مترجمة عن الفرنسية
الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية

* فدائيات إسلاميات :

أسماء بنت أبوبكر، نسيبة بنت كعب الناشر : مكتبة النهضة المصرية
* بدر الغزوة الإسلامية الأولى الناشر : مكتبة النهضة المصرية
* رواد خالدون الناشر : دار سعاد مصر

* خليل مطران أستاذ شوقي وحافظ الناشر : دار سعاد مصر

* الإسلام والحياة الجنسية الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية

* الإسلام والأسرة الناشر : مؤسسة المطبوعات الحديثة

* رائد الفضاء الناشر : المؤسسة العربية الحديثة

* الملمخص الوافي في الأدب والنقد الناشر : الدار المصرية للطباعة والنشر

* الأمثال في القرآن الناشر : لجنة التعريف بالقرآن

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وفي المطبعة

* من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

* الفقاعى أصغر فدائى مصرى

* من سلسلة أدباء معاصرون :

(١) - حسين القبانى

موضوعات الكتاب

صفحة	
٥	تقديم
٧	أقباس من أقوال « تيمور »
٩	صومعة ومحراب
١٥	تجربته الأولى
١٨	وديعة عليية
٢١	دراسة ومرض
٢٥	دعوة وحواريون
٢٧	عاطفة وقلب
٢٩	تحول
٣٥	ضربة القدر
٣٨	عالم وحيوات
٤٥	زهرة تذوى
٤٧	عاطفة وبيئة ودراسة
٦٠	« تيمور » المجمعى
٦٥	تقدير وتوزيع
	مع الخالدين :
٧١	تعيين واستقبال

١٨٧	تكريم وتقدير ...
١٨٩	« تيمور » المعجمي
٩٣	« تيمور » اللغوي
١٠٢	« تيمور » والفنانيا الأدبية
						نموذج من قصص « تيمور » القصيرة :
١١٤	قصة لإنسان ...
١٢٥	مسرحية صفر قریش ...
١٥١	مؤلفات « محمود تيمور »
١٦١	مؤلفات عن « محمود تيمور »
١٦٢	من تواليف المؤلف

قالوا .

« يسمو محمود تيمور » ، بما يقدم من أمثلة إنسانية ترى إلى أهداف رفيعة ، يسمو عن السكائب الروائي المجرد إلى مصاف الفلاسفة الأدباء ونملى الثقافات »

عبد الكريم جبرمانوسى
المستشرق المجرى

« فإذا قيل إنك أديب مصرى ، ففى ذلك غش منك ، وإذا قيل إنك أديب عربى ، ففى ذلك تقصير فى ذاتك ، وإنك توفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمى ، بأدق معانى الكلمة وأوسمها وأعمقها .. »

طه حسين

« وما نحن فى إنتاجنا القصصى إلا عباد يتلفون إلى سماء الفن بألوان القراين ، والمحطوط منا من تتقبل قربانه السماء ، فارفع يديك معى لسأل ملائكة الفن أن تفتح لى باب القبول لما قدمت من قربان . »

محمود تيمور

مطبعة الكلياتى الصغير

٢٨ شارع البستان — باب اللوق
ت ٣٣١٥٨ — القاهرة

الشن ١٦ قرشاً